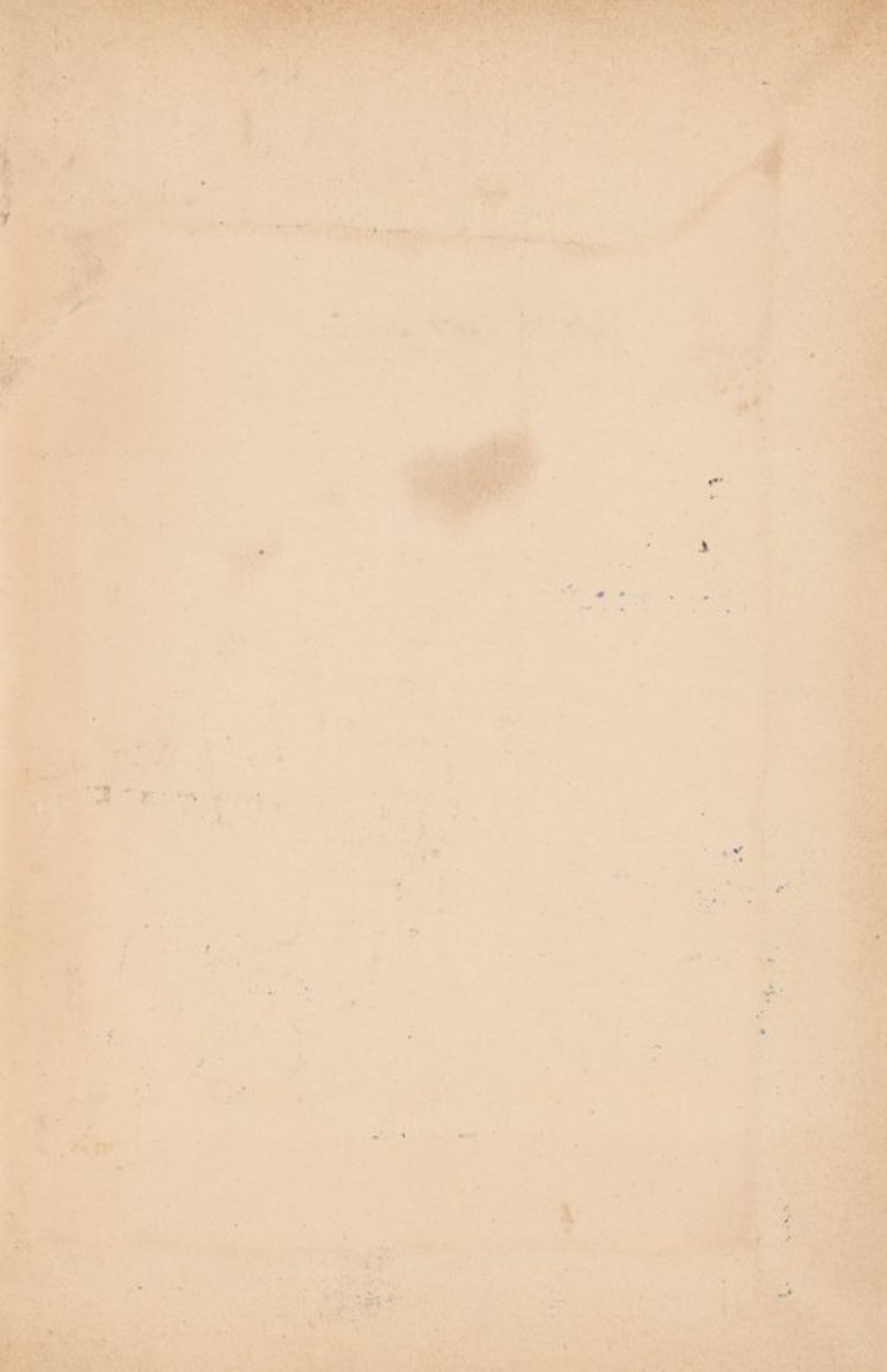




25 AUG 1984

10 JUN 1989

1470
100
1470

956
B21A
C.1

A. S.

قضايا الأقطار الإسلامية

أول وثائق ومذكرات تاريخية
عن يقظة الاسلام وزحفه إلى قواعده في قرن كامل
ودراسة لقضايا الأقطار العربية الإسلامية

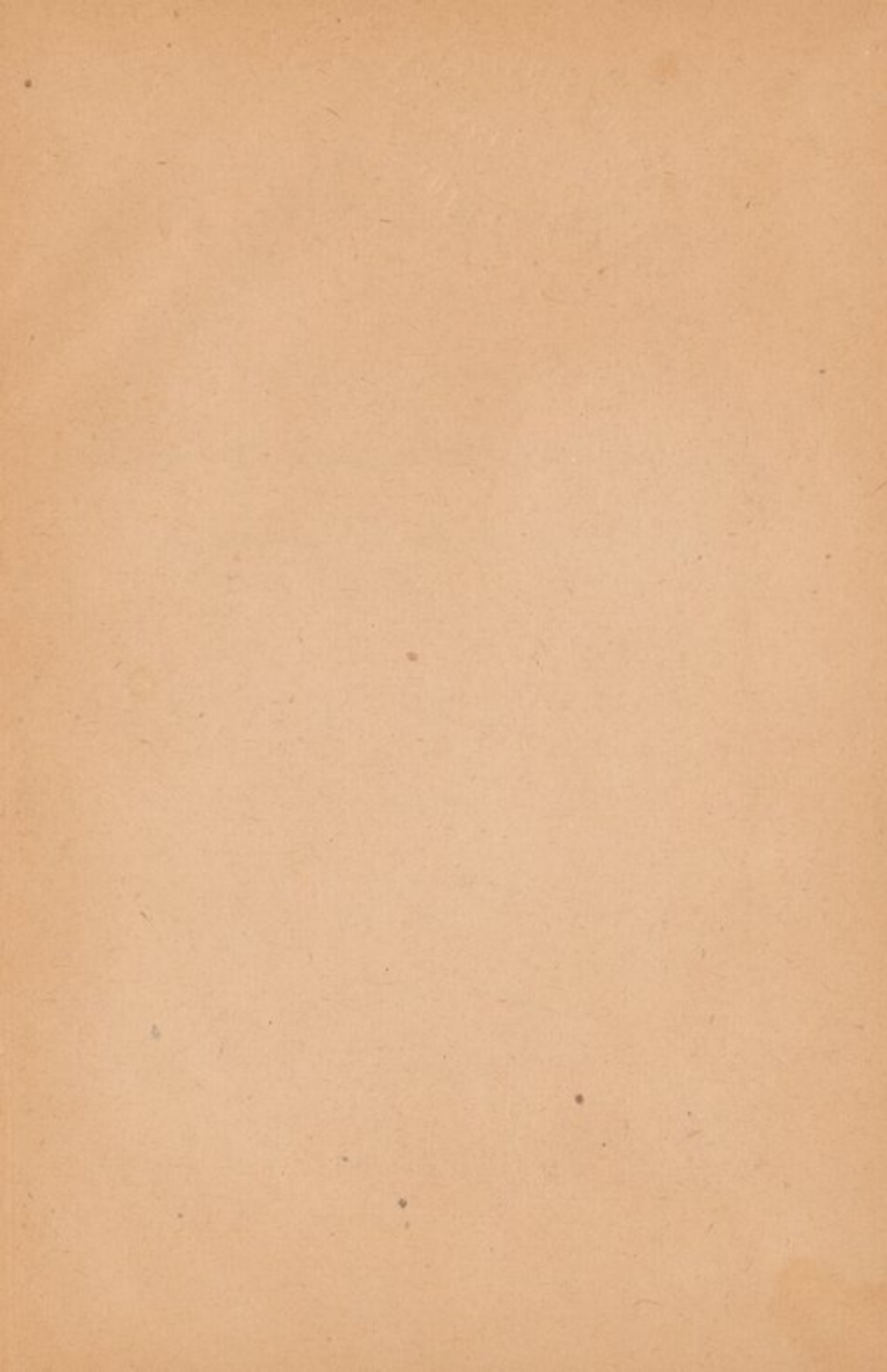
يقدمه

أنور الجندى البنا

من الإخوان المسلمين

١٩٤٤
(غرة جمادى الثاني سنة ١٣٦٥)

طبعة مكتبة مصر



بسم الله الرحمن الرحيم

• طسم • تلك آياتُ الكتابِ المبينِ • نتلوا عليك من نبأ موسى •
• وفرعون بالحقِ لقوم يؤمنون • إن فرعونَ علا في الأرضِ وجعل •
• أهلها شيعاً يستضعف طائفة منهم يذبح أبناءهم ويستحيي نساءهم إنه كان •
• من المفسدين • ونريدُ أن نمن على الذين استضعفوا في الأرضِ •
• ونجعلهم أئمةً ونجعلهم الوارثين • ونمكن لهم في الأرضِ ونرى •
• فرعونَ وهامانَ وجنودهما منهم ما كانوا يحذرون •
• القصص •

إهداء

إلى فضيلة الأستاذ الامام

حسن البنا

المرشد العام للاخوان المسلمين

إليك يا من نقلت ملايين الشباب من هوة الشر وظلمة الجهل إلى نور القرآن وهدى الرحمن .

إليك يا من أنقذت الإنسانية من التردى فى الفخ المنسوب .

إنيك يا من علمت الجيل معنى الإسلام وحقيقة القرآن .

إليك يا من وجهتنا إلى الهدف الرفيع والغاية الكبرى .

إليك يا أيها المجاهد الصابر .

إليك يا أيها المؤمن الصادق .

يقدم أضعف أبنائك قدرة في ميدان الفكر والبيان هذه الرسائل

راجياً أن توجه كاتبها إلى ما فيها من خطأ وأن تصلح ما فيه من قصور .

ويكفيني أن تكون راضياً عني لأن رضاك - عندي - من رضا

جنديك المخلص

الله ورسوله

أنور

بسم الله الرحمن الرحيم

نحمد الله تبارك وتعالى ونستفتح بالذى هو خير .
فى هذه الايام التى تكتب الدول العربية والاقطار الإسلامية مصيرها
ترى أنفسنا فى حاجة لأن نتدارس حالنا كمسلمين نحمل أشرف رسالة وأطهر
دين وأعظم تشريع وأقوم كتاب .

فى هذه الايام التى استيقظ فيها المسلمون استيقاظاً كاملاً بعد غفلة شاملة
امتدت طويلاً ، تنبه إبانها الغرب وقدفنا بالاستعمار فى أسلوب ناعم لين من
الحضارة الداعرة ، والثقافة الكافرة ، والألفاظ التى لاتحمل من وراءها معنى .
وفى هذه الايام التى زحف فيها الإسلام زحفاً متصللاً قوياً إلى قواعد
ليستردها ، وإلى هيئته لينالها ، وإلى كرامته ليتشبع بها ، وإلى تاريخه ليعتز به ،
وإلى دينه ليحقق رسالته ، وإلى قرآنه ليزود عنه ، وإلى تشريعه لينفذه ، نحن أحوج
ما نكون لسكى ننظر إلى قرن كامل من الزمان لنرى كيف كنا وماذا أصبحنا
وإلى أين نسير .

لا شك مطلقاً - ولاذره من شك - فى أن الشرق الإسلامى قد استعاد إيمانه
بعزته وكرامته ومكانه القديم فى التاريخ ومكانه الجديد على وجه الارض -
ولسكنه فى حاجة متصلة دائمة إلى التذكير بالهدف الاكبر والغاية العليا : إقامة
أحكام الله فى الارض والنود عنها بالروح والدم والمسال وتفديتها بكل مانملك
من قوة وعناد .

فباسم هذا الدين القيم وباسم هذا الكتاب الخالد أكتب هذه الصفحات
لشبابنا معتدراً عما بها من نقص . آمل أن تكون له زاداً يقرأها فيعرف كيف
حاول الغرب أن يطمس على هذا النور وكيف كان هذا النور قوياً دافقاً

نقد من الحجب المصنوعة له إلى القلوب المطبوعة به فأمدّها بالإيمان الصادق .
لنذكر دائماً كيف حاول الغرب أن يقتل فينا الإسلام لأنه يعلم أنه
مصدر العزة وأنه بذرة القوة والحرية ولنذكر كيف حاولت الحضارة الغربية ،
حضارة الاستعمار والتغريب أن تتناول شباننا إلى مزالقتها المظلمة فتقتل فيهم
الإيمان والصحة والقوة والمال .

وكيف حاول الغرب ، الغرب الملحد الإباحي المادى أن يستعبد الشرق
الروحي المؤمن مهبط الأنبياء وموئل الديانات ، ولكن ذلك والله الحمد لم يطل
أمره فقد أشرق النور مرة أخرى فاكتمسح الأوهام وبدأ الإسلام يزحف
في قوة وعزيمة وصدق .

وفي هذا الكتاب حديث عن قضايا الأقطار الإسلامية هو جزء متصل
بالرسالة الثانية (الإسلام يزحف) وفيها تفصيل المعركة بين ظلام الغرب
ونور الإسلام ، بين النفس المسلمة المؤمنة والحضارة الغربية المجرمة - فاقراً
يا أخي وتذكر واملأ قلبك إيماناً بحقك وشعوراً بعزتك . وتأكد أنك مدمت
مع الحق فإن الحق معك (إن تنصروا الله ينصركم ويثبت أقدامكم) .

وعما قريب أقدم لك بقية الحديث فتعرف كيف يكون الاتجاه وإلى
أين المصير .

أيها الشباب ، أيتها الكتائب المسلمة ، أتم عدة الشرق المسلم وأمل القرآن ،
فأذكروا القضية الكبرى واجعلوا لكم منها هدفاً يكتب الله بكم النصر ويفتح
بكم (ويأبى الله إلا أن يتم نوره ولو كره الكافرون) .

في هذه الرسالة فصول عن مصر وتركيا والحجاز والعراق والشام
وفلسطين والهند وأندونيسيا وإيران فصلنا القول في بعضها وأجملناه في الأخرى
واقترضناه في الثالثة والعبرة بالفكرة لا بالتفصيل ، وإني لأذكر هنا بالفخر
كيف أن العراق وسوريا ولبنان والحجاز ومصر تضامنت باسم الجامعة
العربية لتوقد سراج الجامعة الإسلامية عما قريب .

وبين يدي الجامعة يتقدم المغرب المجاهد وليبيا المؤمنة ، ولنا أمل في أن يكون لهما فيها مكان ولقضيتهما لسان .

كما أننا كمسلمين كبيرو الأمل في ربط تركيا وإيران بالجامعة العربية تسميا للوحدة ، وجهاد أندونيسيا وجهاد الهند لا ننساه ، وفي سبيل الله نستشهد حتى نصل إلى الحرية الكاملة والوحدة الصادقة .

وليحذر زعماء الجامعة العربية الخلاف وليقتلوا الفتن في مهدها لتسير الجامعة في طريقها قوية مجاهدة مناضلة في سبيل حقوق العرب .

وبعد فإني كبير الأمل أن يكتب لي حضرات الإخوة القراء ملاحظاتهم عن كل شيء وتعليقاتهم حتى يمكن أن نستفيد بها في ملحق هذا الكتاب وخاتمته (الإسلام يزحف) ونسأل الله أن يعيننا على إصداره في القريب ، إنه سميع مجيب ، ونسأله تبارك وتعالى أن يجعل عملنا هذا خالصاً لوجهه لا نبغي به ظهوراً ولا غروراً ، وأن يتقبله بقبول حسن ، وأن يكتب لدينه النصر ولأمة القرآن العزة والظفر .

والحمد لله أولاً وآخراً والله أكبر والله الحمد .

أنور الجنري

نواة الزحف الأولى

استيقظ الإسلام من غفوته وبدأ يزحف . .
هذا هو الواقع الملموس في الحركات الفكرية والاجتماعية التي تظهر
في كل مكان .

استيقظ أولاً باسم الفكرة القومية الوطنية ثم باسم الفكرة العربية التي
صارعت الجامعة الطورانية ثم مضت الفكرة إلى هدفها بقوة وعزم
إسلامية بحتة .

كان غزو نابليون أول طارق للشرق الأدنى بعد حركات الغزو التجارية
التي قامت بها البرتغال وهولندا وإنجلترا في الشرق الأقصى والوسط .
وكانت حركات محمد علي الكبير أولى حركات القوة والعزة والسيادة باسم
الإمبراطورية العربية التي حشد لها محمد علي كل جهوده .

ثم كانت حركات فكرية واجتماعية قام بها القادة باسم الإسلام كحركة
جمال الدين الأفغانى ومحمد عبده والسوسى والمهدى ثم تلا ذلك الثورة العربية
الكبرى في أوائل الحرب الكبرى الأولى؛ كل ذلك وما تلاه من ثورات وطنية
تطالب بالحرية يهى الوطن الإسلامى الأكبر لزعامة الفكرة الإسلامية
واستقرارها .

تركيا العثمانية

كانت تركيا العثمانية هي القارة الثالثة للغرب ليهب من رقفته طوال القرون الوسطى . وهي أثر من آثار الخصومة العنيفة التي لبست يوماً ما لونا من التعصب الديني البغيض واتخذت أسلوباً من أساليب الصليبيين فقد كان بيننا وبين الغرب في التاريخ الإسلامي مواقف أظهرها رغبة الغرب في ارتداد بيت المقدس باعتباره الحرم المقدس الذي يحج إليه النصارى من مشارق الأرض ومغاربها وقد كان نتيجة ذلك تكوين الدويلات الصليبية ومواصلة الهجمات النصرانية في سبع حملات إلى الشرق . وما كان من سحق صلاح الدين لهذه الدويلات وردها مرة أخرى إلى شمال البحر الأبيض وعودة بيت المقدس إلى المسلمين .

كذلك ما كان بين الإفرنج والمسلمين في أسبانيا ومحاولات الإفرنج لتجريد الأندلس من المسلمين وتشريدهم ونصب المقاصل للقضاء عليهم وهجرة المسلمين إلى المغرب هرباً من وجه هذا الطغيان الصليبي الظالم الذي حاولت به أوروبا أن تقضى على آخر مسلم في أوروبا .

ولقد كان لهذه المواقف أثرها في نفوس المسلمين والنصارى على السواء ، فهي اعتداء صارخ من الغرب واستعداد غاشم للقضاء على الشعلة الإسلامية المقدسة ، فكانت ضربات محمد الفاتح لأسوار فيينا واقتحامه بلاد البلقان وقضاؤه على أملاك الدولة الرومانية الشرقية قضاء تاماً هو أبلغ الرد على هذه الخصومة الجاحدة التي ظلت تملأ نفوس الغربيين وتدفعهم نحو الشرق حتى مكنت لهم ظروف المسلمين وغفلتهم من السيطرة السافرة والاستعمار العسكري والاقتصادي للممالك الإسلامية وتمزيقها شرمزق بعد الحرب الكبرى ، ووقوف آثم من مجرمي الاستعمار في القدس ينادى : إن الحرب الصليبية قد انتهت اليوم .

إن عداء الغرب للشرق وعداء النصرانية الغربية للشرق المسلم : عداء متحكم في النفس الغربية يدفعها لأن تسلط على الشرق تسلط الظالم الحاقد الذي يتآكل

قلبه على هذه الامة القرآنية التي كان لها في التاريخ مكان مرموق والتي صرعت الغرب في عدة مواقف وردته مهزوماً محطماً في الاندلس مرة وفي جنوب إيطاليا مرة وفي القسطنطينية مرات .

ولكن لا بأس ولا جزع من هذا الحقد الذي يملأ صدر الغرب الجاحد على الشرق المؤمن فإن هذا الدين الذي يحمله الشرق ويدافع عنه ويذود عن حماه هو دين الإنسانية . وهو الرى للغرب العاطش ، وهو الهدى للغرب الضال إن كان يريد رياً وهدياً بعد طول تخبطه وغفلته .

(سنريهم آياتنا في الآفاق وفي أنفسهم حتى يتبين لهم أنه الحق أولم يكف بربك أنه على كل شيء شهيد)

كانت الدولة العثمانية تؤمن بالإسلام وتنتشر لواءه في الشرق والغرب وقد انبسط جناحها على الشرق الأدنى والأوسط والأقصى حتى شمل كل مسلم واحتفظت بالخلافة الإسلامية التي آوت إلى مصر بعد هزيمة بغداد بمعاول التار وحملتها إلى القسطنطينية وأصبحت منار الإسلام ورافعة لوائه :

ولكن السنين الطوال خلال الثلاثة القرون التي مكنت للدولة العثمانية على وجه الأرض أصابت الأمم الإسلامية بالغفلة عن دينها وأصابت أحكام القرآن بالتعطل ، وعاشت الأمم المستظلة بلواء الخلافة حياة خاملة خامدة ليس فيها بريق من نور إلا ذلك الصوت الذي دوى في المشرق كله بعد أن استفحلت الجهالة والغفلة ، صوت جمال الدين الأفغاني ينتقل بين أقطار العالم الإسلامي يدعو إلى الجامعة الإسلامية ويشحذ الأذهان لليقظة والقوة ولطرح التواكل والجور والذل للغاصب والدخيل ورفع الرأس في عزة وكرامة والمطالبة بالحقوق المهضومة في حرارة وإيمان .

كان عصر سليمان القانوني قمة الخلافة العثمانية، فلما مات عام ٩٨٥ ١٥٦٦م بدأت الدولة التركية في الانحدار وقد كان اتساع ملكها وبعد أطرافه من أسباب الضعف والاضمحلال فضلاً عن غفلة الخلفاء وبعدهم عن الرابطة الإسلامية الصحيحة وركون الدولة عن الحرب والجهاد إلى لون من الدعة

والترف . وانصراف الخلفاء واحداً بعد واحد إلى حياة القصور ينغمسون في الشهوات والملاذ ويعملون على زيادة أبهة الملك وتشديد القصور وفرشها واقتناء الجوارى والغواني والانصراف إلى حياة كلها رقص وخلاعة ومجون . بما لم يعرف عن الرعيل الاول - أولئك الذين كانوا مثال الرجولة والحشونة والجهاد والجلاد وقاعدة عمر هي كلمته المشهورة (والله لو نمت النهار لأضيعن الرعية ولو نمت الليل لأضيعن نفسي) وأحاطت بالخلافة بطانة من رجال السوء ونساء السوء ليس لها هم إلا أن تنغم وتثرى على حساب الشعب المسكين ، واحتجز الخلفاء أنفسهم في القصور لا يعلمون عن الإمبراطورية المترامية الأطراف شيئاً إلا ما ينقله إليهم بلاطهم وجواسيسهم وهم يخاطون باطلاً بحق وظناً بيقين حسبما يرون المصلحة العاجلة والغاية النفعية .

وساد الدولة العثمانية ظلام دامس بانقباضها على نفسها وغفلتها عن حولها ، واستفحل أمر روسيا وتطلعت تنهب البسفور ، وتطلعت انجلترا وهولندا والبرتغال تريد أن تنهب هذه المملكة الشاسعة الواقعة تحت حكم الترك ، ومن ثم بدأت الفتن والقلاقل في البلقان والمجر وبولاندة وهددوا الخلافة بالثورات العنيفة .

كانت هذه الجنسيات المختلفة بدأت تستفيق من غفلة القرون الوسطى إلى نعمة القومية الأوربية فضلاً عن بروز العصية الدينية فيها . أضف إلى ذلك حالة تركيا من ضعف الجيش وانحلاله وظلم الولاة وسلهم وطغيان أمراء البلاد واستبدادهم . وقد أغفل التشريع الإسلامى الذى كان عجلة القيادة للإمبراطورية بأصوله المركزة وقواعده المرتبة وتحديد علاقة الحاكم بالمحكوم والغنى بالفقير . أما فى هذه الفترة فقد كانت الأمور فوضى وعلاقة مركز الخلافة بالممالك التابعة (علاقة جباية) تسأل عن الأتاوة المعينة دون أن تعمل على أى إصلاح أو تجديد ، وقد استطارت الأوبئة من الأمراض والقاذورات واستنامت الشعوب إلى لون من الذلة والاستكانة فى ظل هذا الظلم الصارخ - وقامت حياة المجتمع على شريعة الاسماك يأكل القوى الضعيف ويستبد الكبير بالصغير ويتعاون الحاكم ووكلائه على سلب الشعب وتجريده وتركه فى الفقر

والعوز والجهل والمرض وأصبحت الحياة العقلية بركون عجيب وانصرف العلماء إلى ركب الخلفاء وانصرف الناس إلى هوامش الحياة وقشور الدين يتناقشون فيها ويتنازعون ويتجادلون حول توافه الأمور وحول فرعيات الفقه وفرضيات المسائل ويسألون عن الغرائب وما لم يقع من الأمور .

وكفت الدولة العثمانية عن الإصلاح للشعوب والاقطار والجيوش واستفحل دام الرشوة بين الحكام واستطال الوزراء وسيطروا وأصبحت يدهم السلطة ثم كانت سنة ١٠٦٧ هـ ١٦٤٧ م حيث بدأت الثورة من جهات متعددة لولا همه محمد كبريلى الذى اختير صدر أعظم فضرب على أيدي المفسدين والعصاة إلى حين .

حقاً إنه لما يذكر فلا ينسى أن تركيا أدت للشرق الإسلامى خدمة جليلة مدى أربعة قرون تولت فيها الدفاع عنه من شمال القوقاز على سواحل البحر الاسود إلى المحيط الادرياتيكي فى وجه جنود أوربا الوسطى ولكن بما يذكر أيضاً فلا ينسى أن انطواء تركيا على نفسها وعزوفها عن أحكام التشريع الإسلامى رعى الشرق كله بذلك الشر الويل والاستعمار البغيض .

كانت أهمية العصور التركية الأخيرة متعلقة ببناء القصور والمساجد وزخرفتها وإغداق الآلاف المؤلفة على هذا الزخرف وما سواه من فرش وأرائك وحرار وستر وكاف من علامة الحضارة عند أقول نجمها أن تجنح إلى الترف والبذخ ومن ثم يبدأ الانحلال ويبدو الوهن والضعف . وكذلك كان الخلفاء ينعمون فى داخل قصور مغلقة لاتصل إليها صيحات المظلومين ولا تعرف أنات البائسين بمثل هذه الألوان من البهرج والترف وأمثال هذه الطنافس والمذهبات من عروش فارسية وتيجان مرصعة بالماس وأحجار ثمينة من اللؤلؤ والمرجان والعقيق .

وتصل أخبار المملكة يحملها وزير أو جاسوس وبأيدى هؤلاء الخدم والحشم تقضى الأمور وتصرف دقة الحكم وفيهن الجاسوسات على الخليفة نفسه ينقلن حركاته وهمساته إلى دولهن ، وكل مايجب من هذه المملكة الواسعة

المتدة من الأناضول إلى العراق إلى عدن إلى تونس ينفق أكثره على ما في هذه القصور من ملذات وشهوات ، أما الشعب فقارق في جهله وغفلته وذلته يستمع في المساجد عظات الزهد في الدنيا طمعاً في الآخرة ونعيمها .

هذا كله كان عامل الانحدار والتدهور وهو المفتاح الذي دخلت به دول الغرب متنافسة لتتقاسم تركية (الرجل المريض) وتحاول أن يكون بعضها أقرب إليه وأكثر امتيازاً .

وسيادة الخلافة العثمانية يومئذ تمتد على اليونان وألبانيا ويوغسلافيا وبلغاريا ورومانيا وكريت وقبرص والقوقاز والعراق والشام وفلسطين وتونس والجزائر ومراكش . وكانت هذه الممالك تضطرب وتغلي كالرجل في عهد السلطان عبد الحميد وفي نهاية القرن الثالث عشر الهجري وختام القرن التاسع عشر الميلادي .

ورايات العثمانيين ما تزال تحقق وقتئذ على الساحل الجنوبي كله للبحر الأبيض وقد أصبح البحر الأحمر بحيرة إسلامية ، ثم بدأت أوربا تنازع هذه الدولة المضطربة أملاً كها وتقصصها من أطرافها وقد وصلت الهند يومئذ إلى يد إنجلترا باسم البرتغال وأقامت هولندا على شواطئ الخليج الفارسي وتفجرت البلقان بالثورات المتلاحقة . وبدأت عواصف الاقتطاع في طرابلس وتونس والجزائر وظهرت حركات محمد علي الكبير ورغبته في تكوين إمبراطورية عربية ووقوف الدول الأوروبية له وتحطيم أسطوله في نفارين وقصره في حدود ضيقة وتسليم الحجاز وجزء من سوريا إلى الدولة العثمانية ثم أصبحت مصر تحت تأثير ديونها وقناة السويس العوبة في يد أوربا ثم جاءت بعد ذلك ثورة عرابي فوضعت إنجلترا يدها على مصر ثم ثار المهدي فأخليت السودان وانتهت إيطاليا وفرنسا أفريقيا الشمالية .

وفي حالة النزاع الأخير لدولة الأتراك العثمانيين بدأ التفكير في الجامعة الطورانية رغبة في سد الفتوق بنشاط أنور وكال وجمال ونيازی ومدحت ، ولكن الواقع كان أشد قسوة مما يتصورون . فإن العرب شعروا بقوميتهم وبالرغبة الجائرة التي تحاولها تركيا بتتركب العناصر المتصلة بالخلافة . في الوقت

الذى كانت تركيا تقاسى فيه آلاماً مريرة من حكم عبد الحميد ذلك الطاغية المستبد الذى لا يقبل كلمة من كليات الحرية أو الشورى .

تولى عبد الحميد عرش السلطنة العثمانية ١٨٦٧ م ومكث خليفة المسلمين إحدى وأربعين سنة كانت فترة تمرد وفتن وثورات حاول فى إقماعها كل محاولة وأفشى نظام الجاسوسية الرهيب حتى أصبح الناس آذانا على بعضهم وكان لهذه الغاية يحاول أن يمنع عن تركيا مظاهر الرقى والتقدم الاوربى رغبة فى أن يظل الشعب سادراً فى غفلته وجهله . ظاناً بأن هذه الحضارة هى عود الثقاب فى عرشه أولاً قبل أن تكون سبباً فى الثورة والتمرد على نظم المجتمع .

استقر عبد الحميد فى قصر يلدز مع حاشيته وخدمه وحرسه وأقصى نفسه عن المجتمع كله منهمكا فى تقاريره التى ترد من الجواسيس ، خائفاً من الاغتيال ، يحرم التليفون خوفاً من أن يكون سبباً من أسباب المؤامرات التى لا يحصرها الجواسيس .

وكان قد قام حزب تركيا الفتاة يوزع النشرات على الناس ويلصقها على المباني وفيها حصر على الثورة ودعوة للسلطان لاعتزال العرش وتهديد له بالاغتيال ، ولخوف عبد الحميد من كل إشارة عابرة كان يأمر الصحف أن تحذف كلمة (اغتيال) وحرية ودستور من فصولها فضلاً عن تكليم الصحافة وحظر الاجتماعات ومضى يدفع هذا اللون الجديد من اليقظة بكتلتا يديه ولكن التيار القوى ازداد عنفاً حتى اضطر فى السنين الأخيرة إلى مجازاة التيار .

أشعلت نار الثورة فى ١٩٠٨ وقام الشعب التركى بيبغى الإصلاح وتألفت جماعة الاتحاد والترقى وتضامن الجيش مع الشعب فى إلزام الخليفة السلطان عبد الحميد أن يعلن الدستور فاضطر إلى إعلانه ومن ثم عاد المنفيون من رجال الحكم التركى وتولوا قيادة النهضة الجديدة وأطلقت حرية الصحف والاجتماعات ثم قامت الثورة مرة أخرى فى سنة ١٩٠٩ وخلع السلطان عبد الحميد ونفى إلى خارج البلاد وعين السلطان رشاد خليفة للمسلمين .

تركيا ما تزال تنظر في ذلك الوقت بعين الكبرياء إلى ما يتبعها من ممالك خاصة العرب ، فهم قد فتحوا البلاد العربية بحد الحسام فلا بد أن ترتبط هذه الممالك بالسلطنة العثمانية . وفي سبيل ذلك عوملت هذه الاقطار الإسلامية بالاستبداد والظلم مما أدى إلى انتفاض العرب على هذه السياسة والانضمام إلى جانب إنجلترا حين أعلنت الحرب الكبرى وتحالفت تركيا مع ألمانيا . وقاد هذه الحركة — الحجاز بزعامة الشريف حسين رغبة في الإبقاء على القومية العربية واحتجاجا على المعاملة الظالمة والاستبداد الجائر في معاملة تركيا للعرب وهي تحاول أن تنفذ مشروعها الغريب (مشروع الجامعة الطورانية) وترتك العناصر العربية وغيرها .

وقد انتهت الحرب بانحلال تركيا وغنم الغرب مخلفات الدولة العثمانية وتقاسمت هذه الاملاك إيطاليا وإنجلترا وفرنسا فيما بينهم ، وأصبحت تركيا نفسها قلب الإمبراطورية وموئل الخلافة مهددة باحتلال اليونان لها بتوكيل من الحلفاء .

خرجت تركيا من الحرب منهوكة القوى فضلا عن أن السياسة الداخلية كانت مضطربة تتنازعها الأهواء والمطامع .

حينذاك ظهر مصطفى كمال فيقاد كسائب الترك الممزقة إلى النصر والظفر ورد اليونان مهزومة بعد أن نكل بها — وأعاد لتركيا كياناتها ومكانها فهز ذلك أوروبا وعرفت أنها إزاء دولة قوية منتصرة أرغمتها على أن تسمع لها وتستجيب وكذلك فرضت تركيا حقوقها فرضا على أوروبا .

لم يكن أتاتورك من رجال الحركات الأخيرة في تركيا ، إنما كان ضابطا من الضباط ولكنه كان متحمسا ملتها برغب في تحرير وطنه واستقلال بلاده . وكان قد اقتنع بنظرية أمن بها وأذاعها ، وكان في تحقيقها الظفر والنصر ، تعلم هذه النظرية وأيقن بها خلال حركاته الكثيرة إلى طرابلس وإلى الشام حين سمع الشكوى المرة والكرامية المأصلة والحقق الدفين القائم بين تركيا

والعرب ، وتمرد العرب على رغبة تركيا في تركيز العناصر التابعة لها ، وعلم أن تركيا أمة وأن العرب أمة وأن السر فيما أصاب تركيا من ذلة وهوان وأزمات هو هذه الممتلكات الشاسعة الواسعة التي لا تحكها تركيا حكماً صحيحاً والتي هي السبب فيما أصيبت به تركيا من نكبات . لذلك صمم على سياسة موحدة هي أن تصبح تركيا — تركيا فقط ، يجب أن تعيش تركيا داخل بلادها . ومادامت أرضها تنسج لها وثروتها تكفيها فلا جدوى من التمسك بهذه الاقطار .
بهذه الفكرة وحدها عمل أتاتورك وعلى أساسها أقام الملك .

فرض أتاتورك (١) نفسه فرضاً على تركيا وعلى الخليفة وعلى الزعماء وعلى النواب وعلى كل شيء ، واستطاع أن يقاوم بفلول جيشه لايعاونه إلا عصمت إينونو واستطاع أن يخرج اليونان إلى البحر وأن يسترد أزمير وأن يصبح رجل الساعة في تركيا بل في العالم الإسلامي كله .

وبعد أن تخلص من العدو الخارجي بدأ ينظر إلى الداخل فقصى على رموس التمرد والنفاق ، وعلى بطانة الخليفة التي كانت لا تعمل شيئاً إلا الدس والوقوف في طريقه .

حاول النواب أن يوجهوا أتاتورك إلى استرداد سوريا والعراق ليعيد للإمبراطورية العثمانية سالف مجدها ، فكان رده عليهم أنه لا يرغب إلا في تأمين حياة الوطن واستقلاله داخل حدوده الطبيعية ، وأنه قد أبعد الأحلام والاشباح عن سياسته إلى الأبد .

ورد عن نفسه دعايات الشيوعيين الذين حاولوا اهتبال الفرصة لأنهم عاونوه في حرب الاستقلال فردهم قائلاً : إن تركيا ستبقى شئونها بنفسها ولن تسمح لغيرها بأن يريد بها شيئاً غير ما تريده لنفسها .

استرحنا من اليونان وبدأ حرب بعضنا لبعض : هكذا قال أتاتورك . وأقام

(١) لا يمكن أن ننسى أن أتاتورك قد أحرز كل هذا النصر باسم الاسلام أولاً ثم انقلب عليه .

حكومته الوطنية في أنقره ، وفي الأستانة تقوم حكومة السلطان ، ووزراؤه وجمهرة الأتراك تميل إلى أن يتفق الطرفان فيتولى مصطفى كمال رئاسة الوزارة متعاوناً مع السلطان . ولكن أتاتورك كان له رأى آخر . فلما ذهب إلى المجلس أعلن في قوة وحماسة أن السلطة شيء والخلافة شيء آخر ، ولا بد من الفصل بينهما وإلغاء الأولى وخلع السلطان وحيد . وأخذ النواب يتجادلون فهددهم أتاتورك بأن في معارضة هذا القرار يدفعون ثمناً غالياً هو رءوسهم .

وتمت الموافقة وخلع السلطان وولى خليفة جديد مجرد من السلطة الزمنية ، وعمل أتاتورك لإنشاء حزب الشعب وأوفد عصمت لحضور مؤتمر لوزان ٢٨ أكتوبر ١٩٢٢ ثم اجتمع بالبرلمان وقرر أنه غير نظام الحكم ، وأصبحت تركيا جمهورية ولها رئيس وبذلك أصبح أتاتورك رئيساً للجمهورية التركية في ٢٧ أكتوبر ١٩٢٣ - وفي ٢٣ مارس ١٩٢٤ قدم للمجلس اقتراحاً بإلغاء الخلافة ، وفي ساعة واحدة صدر قرار المجلس بالموافقة وصدر الأمر بخروج عبد المجيد من البلاد هو وجميع أمراء آل عثمان وبذلك استتب الأمر لآتاتورك في تركيا جميعها .

عوامل وأسباب ونتائج انهيار تركيا العثمانية

- ١ - طرد مدحت باشا بعد ٧٥ يوماً من تولى الوزارة لأن الخلفاء أمروا بإبعاده فأطاع الخليفة .
- ٢ - كان سلاطين تركيا لا يسمحون بكلمة الشورى والدستور والعدل والأمة .
- ٣ - هجر تركيا أكثر أهلها من الظلم وإثقال كاهل الشعب بالضرائب .
- ٤ - الاستبداد بالرأى والاعتداد بالنفس شأن خلفاء آل عثمان .
- ٥ - التضييق على حرية الرأى وخنق حرية الصحافة وإلغاء كلمة الأئمة من قریش .
- ٦ - مظاهر الآبهة والمحافظة على حياة السلطان وقد وصل التبذير فى الدولة إلى حالة لا تطاق .
- ٧ - قصر الخليفة على المشعوذين والدجالين من المشايخ يخلقون الرؤى يزعمون أنهم رأوها .
- ٨ - تعدد عناصر الدولة (البوسنة - الهرسك - صربيا - ألبانيا - اليونان - بلغاريا - رومانيا) .
- ٩ - إيقاد الغرب حرباً صليبية عن طريق البلقان وثوراة الصرب والجبل الأسود .
- ١٠ - ظهور المسألة الشرقية والنزاع بين عناصر الأمم التركية من جهة ودخول الدول الغربية فى هذا النزاع لتحقيق أمانها .
- ١١ - تصرف الخلفاء فى أموال الدولة بدون حساب ومساعدة أعوانهم .
- ١٢ - تفكير عبد الحميد فى الجامعة الإسلامية لكي يستعين بالدول الإسلامية على أوروبا المستعمرة كان ينقصه خلوه من استبداد عبد الحميد .
- ١٣ - انهارت تركيا العثمانية عندما فكرت فى تكوين جامعة طورانية تعمل على إيقاظ القومية التركية وتحريك العناصر العربية .
- ١٤ - هجرة الناس من كثرة الضرائب وسوء جبايتها وإثقالها فى الكاليات والملاذات .
- ١٥ - أخذ على الخلافة التركية أنها لم تناصر مسلمى الأندلس .

تركيا الحديثة

لا شك مطلقاً في أن أتاتورك فرض نفسه فرضاً على تركيا ، وحقق مطامعه في إلغاء الخلافة وتسكين الجمهورية بحجرة قلم ، تحت تأثير التهديد لرجال الدين الذين كانوا قد وصلوا إلى حالة من الجلود والغباء والضعف ، أثر عصور الذل والهوان التي عاشوا فيها ، لا يرفعون رموسهم ، ولا يظهرن بمظهر العزة والكرامة .

قام أتاتورك بإصلاحات قيمة ؛ طهر بها البلاد من جو الخمول والضعف الذي كانت ترسف البلاد فيه تحت تأثير حكم خليفة طاغية مستبد ، يضع السلطات كلها في يديه ، وكذلك الاموال .

أقام أتاتورك حكمه على الإرهاب أكثر مما أقامه على المنطق أو التشريع السليم ، فقد تحركت الثورة من بعض الجهات على الحكومة الجديدة وعلى أتاتورك بالذات ، وتحرك الأفراد أيضاً ، فقمع الثورة في قسوة ، ونصب المشاقق ، وأرهب الرموس التي كانت تشرئب ضده .

وهكذا كان أتاتورك يركز الحكم بأشد أساليب الانتقام من المتمردين ، لا يبالى بالسجن ولا بالنفي في سبيل تحقيق أهدافه .

ومن أكبر عيوب أتاتورك أنه انصرف عن الإسلام انصرافاً تاماً ، وجرّد تركيا منه تجريداً ، فأصبحت بين عشية وضحاها بعد أن كانت موئلاً للإسلام وملاذة قطعة من أوروبا ، يلبس أهلها القبعة ، ويتكلمون اللاتينية ، ويكتبون من الشبال ، وقد رفعت من الدستور دين الدولة الرسمي الإسلام .

وشغف بهذا الغريب كثير من الأذئاب في مصر ، ممن كانوا يوالون المستعمر باسم الحضارة وباسم حرية الفكر ، ورفعوا عقائرهم يدافعون عن تركيا ، ويطالبون لمصر بمثل ذلك ، غافلين عن أن مصر منار العالم الإسلامي وقاعدته ، وأنها قلبه النابض وحيوته الزاخرة .

ولقد شاء ربك لهذه الأقلام أن تقصف أو تنحرف عن دعوتها الباطلة ،
وتجارى تيار الإسلام الدفاق، الذى بدأت أضواؤه تعم المجموعة كلها ، فتشعرهم
بمدى الفارق بين عزة التمسك بالإسلام الصحيح ، وبين ذل التجرد للحضارة
الغربية الماجنة الداعرة القائمة على شهوات الخمر والنساء .

وإن كانت تركيا قد كسبت شيئاً من حريتها الجديدة ، فإنما كسبتها عن طريق
قوتها العسكرية . أما الحضارة الغربية فلم تسكن عند تركيا إلا بريقاً خلاباً ،
ونزوة عاصفة ، انقلبت بها تركيا تمجد قوانين الغرب ولغته وحضارته ، وتنصل
من الإسلام والشرق تنصلاً . وهاهى تشعر أن لاهية لها ولا قوة إلا بالإخاء
مع دول الشرق الإسلامى لىكون لها من هذا الإخاء سنداً إزاء الحادثات ،
وقد بدأت تنبه تركيا لهذا المعنى هـذه الأيام ، وهناك محاولات لعقد حلف
بينها وبين العراق والجامعة العربية .

ولا يمكن أن نفسى مطلقاً أن انضمام تركيا إلى ألمانيا فى الحرب العظمى
كان سبباً مباشراً فى تصريح بلفور المشؤوم .

من الجائز أن تكون تركيا قوية عسكرياً ، ولكنها ضعيفة هزيلة اجتماعياً .
فقد أصابت الحضارة المجتمع التركى بالرخاوة والتمزيق ، ولن يصلح أمره إلا
إذا عادت تركيا مرة أخرى إلى حظيرة الإسلام .

ويبدو أن السر فى انفصال تركيا هذا الانفصال المتعصب من الشرق
الإسلامى أمران :

- (١) وقوف العرب فى وجه الترك وخصومتهم الاخيرة معهم .
- (٢) وشعورهم بأن الإسلام هو سر ما أصيبت به تركيا فى عهد الخلافة من
بلاء ، وإن كان هذا يخالف الحق فما كان الإسلام دائماً إلا عامل قوة وإنما
التبعية على الذين تركوه وراء ظهورهم .

أما خصومة العرب فقد كانت مطالبة بحق ودفاعاً عن قومية أرادت تركيا
إهدارها بتريك العناصر العربية . وأما الإسلام وأثره فى ضعف تركيا أيام
الخلافة فليس للإسلام ذنب . لأن الإسلام قوى وقواعده سليمة ، ولو سارت

عليها الأمة المسلمة واعتنقتها وأقامت أحكامه ونفذت شريعته لسيما بها إلى ذروة القوة والمجد والسلطان ولكن العيب أن تعطل أحكام الإسلام ، وينصرف الخلفاء إلى الترف وإلى الاستبداد ، وأن يسير العلماء أذلة في ركاب الغاصب ، وأن يضيع الشعب غفلة وفقراً وذلاً وجهلاً .

أما إلغاء التسكيا والاقواف وخزعبلات الدروايش وسخافات الطريقين فهذا خير ماصنع أتاتورك . ولا يختلف المسلمون فيه إذ أن هذه التسكيا جرثومة الذل وما كان الإسلام يوماً دين (دروشه) أو قبوع في انتظار ما تجود به أيدي المحسنين وقد أعز أتاتورك القومية ففرض توظيف الأتراك في كل عمل ووضع الثروات في أيدي الوطنيين وألغى الألقاب وثار على الامية .

أما تغيير اللغة وتمزيق الحجاب وقذف المرأة إلى المراقص والسينمات فهذا هو الجانب الأسود في النهضة التركية . وما ذنب المرأة وليس لها إلا ميدان واحد هو البيت . تنشئ الطفل وتعين على مهام الحياة وتدفع الرجل إلى بجد وطنه وعزة دينه . وما يؤخذ على تركيا الحديثة أنها لم تظهر أى شعور من مشاعر الألم والمشاركة لمسلمي أندونيسيا ولا لعرب فلسطين وللمسلمي المغرب كأنه لاصلة لها بالاقطار الإسلامية إطلاقاً .

وما يؤخذ على تركيا أخذها بالقانون السويسري بما فيه من عيوب كزواج الأخوين في الرضاعة وزواج المسلمة بغير المسلم مما لا يتفق مع نظام التوريث الإسلامي ، والأذان والصلاة بالتركية بدلاً من العربية .

تقاسى تركيا هذه الايام أزمات شداد من ضغط روسيا بالنسبة لمسألة المضائق ورغبة روسيا في اعتبارها مضائق تركية روسية واعتبار هذا الأمر بعيداً عن نطاق مجلس الأمن . ولا تزال روسيا توغز إلى الأثر من

بالثورة والانفصال من تركيا وتركيا لا تريد أن تسرح جيشها الكبير بالرغم من سوء الحالة الاقتصادية خوفاً من روسيا . ولا تزال تركيا إلى الآن تقوم على نظام حزب واحد ولم تألف الحكم الديمقراطي الصحيح القائم على تعدد الأحزاب وهناك محاولات لإنشاء حزب آخر هذه الأيام .

وترى روسيا أن البحر الأسود ليس تركيا محضاً بل هو روسي أكثر منه تركي ذلك لأن تركيا تستطيع أن تنفس بحرية من خلال بحر إيجه والبحر الأبيض بينما روسيا ليس لها سوى البحر الأسود فإذا أغلق عليها الدردنيل والبسفور فإن روسيا تكون دائماً مهددة بالاختناق .

ولهذا السبب تطالب روسيا بأن يكون لها قواعد بحرية وجوية عند طرفي المضائق أى في الجنوب في شبه جزيرة غاليبولي وفي الشمال على شاطئ البسفور الأعلى .

والترك يفضلون أن يدخلوا في حرب مهما تكن نتائجها شؤماً عليها على أن يفرطوا في حق من حقوق السيادة مثل السماح لدولة أجنبية بإنشاء قواعد حربية لها على الأراضي التركية .

وبعد فإن الأمل في تركيا كبير أن تنضم إلى عقد الدول الإسلامية مرة أخرى فتدخل في هذه المجموعة التي تزحف زحفاً قويا إلى قواعد عزتها في الشرق مرة أخرى فنحن لا نتخلى أبداً عن إخواننا مسلمي تركيا ونرغب أشد الرغبة في أن تتحول الألوان القائمة القائمة في الحضارة التركية الحديثة مرة أخرى إلى ألوان إسلامية فتصبح تركيا دولة إسلامية حية تقيم شريعة الإسلام وتأخذ من الحضارة كل ما فيها من قوة وخير .

الحجاز وبلاد العرب

- ١ - أما بلاد العرب عامة فالمحدث عنها لا يتعدى قوة عمان قبل الزحف الغربي ، أما باقي الجزيرة فقد جنى عليها المستعمر وقضى على العزة العربية فيها بالمال والذهب ، واستغل بعض الولاة والأمراء صداقة الغرب فوقع الخلاف بين الولايات بعضها وبعض حتى سادها جميعها ضعف ما تزال تمتد آثاره إلى الآن.
- ٢ - استولت إنجلترا على عدن وبوغاز باب المندب وحاولت غزو اليمن فلم تتمكن ، فقد وقف أمامها اليمن ورفض الحضارة البراقة التي ورامها السيف والمدفع .
- ٣ - استفاد الإنجليز من الخلافات الأسروية والقبلية في بلاد العرب ، وقد اتخذ العرب من تعدد الزوجات وسيلة إلى ربط أواصر النسب فنشأت الفتن في البيوت وبين الإخوة والأمهات وانتزها الإنجليز فأعانهم ذلك على إضعاف قوة البدن والروح ، وضعف النفوذ والسيطرة .
- ٤ - كثير من أمراء الجزيرة لهم مراتب وهم متصلون بالقنصل الإنجليزي في عدن.
- ٥ - الكرييت تعدادها ٥٠ ألف نسمة على ضفاف الخليج الفارسي ، وقد حاول الأمبراطور غليوم أن يتخذها قاعدة في التوسع نحو الشرق ومد خط حديدي من الآستانة حتى حلب ينتهي بميناء الكرييت على الخليج الفارسي .
- ٦ - أمارة عمان رفعت علم العرب إلى أوج السماء في القرن العاشر الهجري ودامت نهضتها بعد الاندلس من ١٠٠٠ هـ إلى ١٢٥٠ هـ وكان أهل عمان سادة البحار الثلاثة العظمى ولهم أسطول من ٣٠٠ قطعة ما بين بارجة وقرقاطة ونسافة وحراقة وهو الأسطول الإسلامي الرابع بعد أساطيل معاوية وصالح الدين وآل عثمان ، وقد قضت إنجلترا على هذا الأسطول .
- ٧ - هزم الإنجليز دولة زنجبار التي تأسست سنة ١٨٥٦ م كما هزموا دولة عمان ودمروا أسطولها كما دمروا أسطول البحرين .

٨ - تدخلوا في شؤون البحرية سنة ١٨٦٧ وعقدوا معاهدة مع عمان تضمن سلامة البلاد ومساعدة بريطانيا ومن شروط المعاهدة أن تتنازل عن حقوقها في تجهيز الجنود البحرية والسفن الحربية على أن ترد إنجلترا عنهم كل غارة .

٩ - ألبت القبائل بعضها على بعض حتى لا تتحد ولا تصبح جبهة في وجه الاستعمار .

الحجاز

ظل الحجاز زمناً طويلاً ساكناً تحت حكم الأتراك لا يتحرك ولا يتماثل من غفوته شأنه شأن الإقطار الإسلامية من حوله ، ولكن دعوة الشيخ محمد ابن عبد الوهاب قرعت الآذان فأيقظت النوام إلى لون جديد من الحياة . ذلك أن الإسلام كانت قد أصابته من جراء حكم الأتراك خفقة من نعاس فقد انصرف أهله عنه وانتهت حياة الفتح والجهاد في الخلافة العثمانية إلى لون من الغفلة ، وآبت الإقطار كلها إلى حياة خاملة منحلة لا قوة فيها ولا حيوية وأصابت الغفلة الشرق الإسلامي كله ، ولم يعد الحكم العثماني للمملكة الإسلامية الواسعة إلا لوناً من ألوان الجباية للأموال . يقوم بها أمراء وجباة ، قاسية قلوبهم ، لا يعرفون الأمانة ولا العدالة ولا الرحمة . لاهم لهم إلا جمع المال . لتثري جيوبهم وليحملوا الباقي إلى دولة الخلافة في الآستانة ، وعلى دول الخلافة بالآستانة خليفة يمثل المسلمين ، ولكن ليس في حياته أي صورة من صور الإسلام العملي اللهم إلا الاسم فهو يحيا حياة خاصة مترفة ، مطعمة حواشيها بالذهب والحرير . في القصور المملوءة بالجوار والخدم والحشم وملك اليمين . وفيما بين هؤلاء الخدم من الرجال والنساء ، وما بين هؤلاء من البطانة والبلاط تحاك الدسائس وتصرف أمور الدولة وأغلب هؤلاء جواسيس من قبل ألمانيا وغيرها يحصون على الخليفة خطواته وحركاته .

أما الدين نفسه ، وجوهره وأهدافه ، فقد نسيتها دولة الخلافة نسياناً تاماً حتى خرج هذا الرجل من أواسط جزيرة العرب ومن نجد يدعوا إلى الله

ويحاول أن ينتزع من عقول الناس ماعهده من خرافات وأباطيل .

كان محمد بن عبد الوهاب يقرع آذان من حوله بدعوة التوحيد مجدداً بها دعوة ابن تيمية وتلميذه ابن القيم وقد تجرد لهذه الدعوة سنة ١١٥٠ هجرية في نجد واستطار اسمه واجتمع حوله من هدام الله إلى فهم الدين ومعرفته حتى اتصل أمره بآل سعود فصوره وأيدوه واتصل نسب الشيخ بنسب آل سعود وقد تزوج محمد بن سعود بابنة محمد بن عبد الوهاب فولدت عبد العزيز الذي خلف إياه ١١٧٦ هـ وجمع بين سلطان جده محمد بن عبد الوهاب من الوجهة الدينية وسلطان والده عن الوجهة السياسية وبذلك دخلت الدعوة الدينية في ميدانها السياسي واستولى على مكة ١٨٠١ م .

ومن ثم أصبح آل سعود موئل هذه الدعوة وسيفها المحارب وباسمها فتحو الرياض سنة ١١٨٨ هـ ووصلت الدعوة الجديدة إلى أطراف الجزيرة وإلى حدود اليمن ثم استولى آل سعود على بلاد الحجاز وعلى مكة ١١٨٥-١٨٠١ م وامتد سلطانهم أيضاً إلى ناحية الحسا وغيرها من نواحي شبه الجزيرة ينشرون مذهبهم ويدعون الناس إليه ويفتحون باسمه الأقطار واستتب الأمر لسعود بن عبد العزيز سنة ١٢٠٣ هـ فأصبح أمام الوهابيين وزعيمهم الأكبر . وقد أوفد جيشاً إلى العراق وكر بلاء سنة ١٢١٦ هـ لتحطيم مزارات الشيعة بالنجف والكاظمية وغيرها . وظل أمرهم في قوة وعزة حتى سنة ١٢٢٦ هـ حينما جاءتهم تركيا بجيوش محمد علي وبهذه الحرب زال ملك آل سعود من الحجاز ومن نجد حتى جاء الملك عبد العزيز عبد الرحمن الفيصل آل سعود فأعاده وجده .

وفي سنة ١٢٤٣ هـ عاد الحجاز إلى حكم العثمانيين بعد أن استبقاه محمد علي لنفسه زمناً إلى أن تحالفت ضده دول أوروبا وردوه إلى دولة الخلافة وبعودة العثمانيين إلى الحجاز عادت الفوضى وانتشر النهب والسلب حتى استولى على الحجاز كله آل سعود مرة أخرى عام ١٣٤٤ هـ - ١٩٢٥ م .

وقفت تركيا أمام دعوة محمد بن عبد الوهاب التي ظهرت بنجد . وأمام محاولاتها لدخول مكة وهدم ما بها من مزارات وقباب وقفة الخائف المرتجف فكانت ترسل إليهم بين الحين والحين جيشاً لردهم وكانوا هم أشد قوة من تركيا وأقوى ساعداً فكانت ترتد هذه الجيوش مهزومة . وما كانت تركيا تريد في ذلك الوقت شيئاً إلا أن تغري القبائل بعضها ببعض لتوقع بينها العداء حتى يظل لها السلطان وتظل لها الجباية التي هي كل الرباط الباقي في ذلك الزمان بينها وبين الولايات الإسلامية ، وقد كانت الدولة العثمانية في حالة النزاع تريد أن تظل هذه الأقطار تابعة لها وتحاول بقدر ما تستطيع أن ترد عنها غارة التمرد والتحرير ؛ ولم تكن الخلافة العثمانية وقتذاك مما يشرف المسلمين ولا مما يعمل لعزة الدين إنما أصبحت المسألة مسألة ملك وسلطان لا تنظر فيه إلى تعزيز الروابط الإسلامية بينها وبين الأقطار المختلفة ولقد أخذ على تركيا أنها أصمت آذانها عن صراخ مسلمي الأندلس حين كانت المسيحية الظالمة تذيبهم من العذاب فضلاً عن أنهم ما كانوا يعرفون من الإسلام إلا قشوره وقد ضعف فهم الإسلام الصحيح في أيامهم وتغلبت نزعات الجدل والكلام وانصرفت عنايتهم إلى زخرفة المساجد وتزويق المصاحف وانتشرت في أيامهم الطرق الصوفية وأصبح لها سلطان على القصر . وانصرف العلماء إلى موائد الخلفاء لاهم لهم إلا تفسير الأحلام ومتابعة الخلفاء فيما هم فيه من جهل وغطرسة وشر وانصرف الخلفاء إلى القصور وما فيها من بهرج إلى الحفلات وما فيها من ترف وإلى ذات الخليفة وما يتناشد حولها الشعراء من آيات المديح والإطراء وإلى الاستبداد المطلق في الحكم فما يستطيع أحد من الرعية أن يتحدث في حرية أو يعترض على أمر ما من أمور الدولة .

ولم تنظر تركيا إلى دعوة محمد بن عبد الوهاب نظرتها إلى دعوة إصلاح في العقيدة إنما نظرت إليها نظرها إلى قوة سياسية تريد أن تحتاج جزءاً من أملاك الدولة العثمانية وتجردها منه ولذلك سرعان ما سلطت عليه محمد علي . وطبعي أن مثل هذه الدعوة قد اتهم القائمون بها في أول الأمر بالكفر والزندقة لأنها كانت دعوة غريبة في وقت طغى فيه الجهل على العقول طغياناً

شديداً فلم يعرف الناس عن دينهم شيئاً إلا أنه تواكل وقناعة وخمول، وتوسل إلى القبور وإلى سكان القبور وذلك من آثار الفتن التي حاولها أعداء الإسلام حين أعجزتهم الحيل عن هدمه سياسياً فجاءوا إليه عن طريق سحق العقيدة الصحيحة وإحلال لون من الإشراك بالتوسل والالتجاء إلى القبور .

وكذلك فعل السعديون عندما استولوا على الحجاز سنة ١٣٤٤ هـ فقد هدموا المزارات والقباب وكشفوها وأزاحوا عنها الستائر والأغطية ذلك لأنهم يؤمنون بأن العقيدة الصحيحة السليمة تتطلب اتصالاً صادقاً بالله وعزواً كاملاً عن القبور وعن التوسل بها .

حاول السعديون تنفيذ عقيدتهم بقوة السيف في إرهاب بالغ ولما كنهم بعد أن استتب لهم الأمر في شبه الجزيرة خففوا شيئاً ما من هذه الحدة وجنحوا إلى لون من الاعتدال ليكونوا أقرب إلى الأذهان وأرضى للناس .

وقد تكونت كتابت المجاهدين تسكيناً يدعو إلى الإعجاب فقد كانوا يسمون بالإخوان ويعرفون بتمسكهم بالسنة مما جعلهم ينفرون من استعمال آلات الحرب الحديثة في القتال ولا يعترفون بغير السيف والقوس سلاحاً، ويرون أن إطلاق الرصاص ليس من الشجاعة في شيء .

عرف الإخوان أيضاً بشجاعتهم في الحرب وآمنوا بأن من قتل عدواً لدين الله وشرع نبيه الكريم دخل الجنة . ولذلك ترى البدوي منهم في حومة القتال مملوفاً إيماناً و يقيناً بصحة عقيدته يقدم على بذل مهجته رخيصة في ميدان الوغى ويسمون دوى الرصاص ريح الجنة ولا يحبون الشعر ولا يؤثرون على القرآن وما صح عن رسول الله شيئاً ونساؤهم مثال الحشمة ويسدلون لحاهم وينادون الملك عبد العزيز بقولهم يا طويل العمر .

وقد كانوا من هيبتهم إذا ذكر اسمهم على حدود العراق أو شرق الأردن أو الكويت استولى الرعب على القلوب ، وكانت الأم تودع ابنها وتقول اللهم اجمعنا وإياك في الجنة .

عرف عن الوهابيين منذ أن أذنوا بدعوتهم سنة ١١٥٠ هـ ومنذ ارتبط آل سعود بآل عبد الوهاب فسارت الدعوة مع السيف - عرف عنهم رغبتهم في مهاجمة مكة والمدينة بين حين وحين راغبين إلى إذاعة مبادئهم في هذه الأقاليم - يحملون الرجاء في تأمين الطريق أيضاً مما فيه من غوائل المجرمين الذين يهاجمون القوافل وينهبونها وهم يعلمون أن هذه الدعوة لابد أن تصل إلى الحرمين حتى تكون قد حققت أهدافها . وقد حاربتهم تركيا وسلطت عليهم محمد علي الذي كان يفكر في إقامة إمبراطورية عربية وكان يرغب في أن تكون الحجاز قلب هذه الإمبراطورية لولا أن عاجلت أوروبا محمد علي فردته عن فكرته وهزمته وقصرت قواه في داخل وادى النيل .

فعاد الحجاز إلى حوزة تركيا التي كانت تغرى قبائل شبه الجزيرة لتشن الغارات بعضها على بعض فتصبح الفتن مستمرة بين آل سعود وآل الرشيد وينتهي ذلك بخروج الأمير عبد الرحمن الفيصل إلى الكويت ونزوله ضيفاً على مبارك الصباح إلى رمضان سنة ١٣١٩ حين خرج عبد العزيز على رأس أربعين من رجاله ليرد ملكه المضيق وقد هاجم الرياض وانتزعها من آل الرشيد وعاد لآل سعود عزهم وملكهم .

وبدأت حركات السعوديين على الجزيرة تلفت نظر أوروبا وأخذت ألمانيا وإنجلترا كل منهما تحاول أن تخطب ود ابن السعود . وقامت الحرب بين شمر ونجد سنة ١٩١٥ وفاوض الإنجليز الملك عبد العزيز على ألا يهاجم أصدقاءهم ولا يساعد أعداءهم ومقابل ذلك اعترف به الإنجليز حاكماً لنجد وأمدوه بالمال والسلاح . ولقد ظلت أمانى الإنجليز للشرىف حسين تضائق عبد العزيز السعود لأنه سيكون إمبراطور العرب كروود لورنس . ثم اختلف الشرىف حسين مع الإنجليز بعد معاهدة (ساكس باكو) وامتنع عن التفاهم معهم فأعانوا عبد العزيز على مهاجمة الحجاز وقد كان ينتوى تأمين طريق الحج . فلما هاجم الحجاز حاول حسين الاستنجاد بالإنجليز فأصموا آذانهم عنه ، فتم لعبد العزيز الاستيلاء على الحجاز كله . عرف عن الإخوان النجديين أنهم لا يعرفون الحرب المنظمة ولا يعرفون الصبر على الحصار ، وطاعة الإمام التي يفرضها المذهب الوهابي تدعو إلى أن يكون بيد الإمام الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر .

الثورة العربية الكبرى

١ — احتل الانجليز مصر ١٨٨٢ — الفرنسيون تونس ١٨٧١ — ايطاليا طرابلس ١٩١١ فرنسا المغرب ١٩١٢

٢ — البعثات التبشيرية الاوربية والامريكية إلى الشرق العربي .

٣ — فكرة الدولة العثمانية في تركيز العناصر التابعة لها لتحويلها دولة طورانية تحيى مجد جنكيز خان وتيمورلنك وتبتعد عن الإسلام .

٤ — أندلاع نيران الحرب الكبرى ١٩١٤ وانضمام الأتراك إلى الألمان وسعى الإنجليز لاستمالة العرب ووعدهم الشريف حسين بإنشاء دولة عربية كبرى .

٥ — فتك الأتراك بالنخبة الممتازة من رجال العرب الأحرار في سوريا ونصب المشانق ونفى مئات الأسرى العربية الكبرى إلى الأناضول .

كل هذه العوامل هيأت للثورة العربية الكبرى التي قام بها الشريف حسين - وكان مركزها الحجاز - بعد اتفاقه مع السير هنري مكماهون وتوقيع معاهدة بينهما عن إقامة الدولة العربية الكبرى محدودة بحدودها لتضم الحجاز والشام والعراق، وقد دعت هذه العوامل العرب بزعامة الشريف حسين إلى الاستجابة إلى هذا الأمل والوقوف في صف الحلفاء . وكان عداؤهم لتركيا وموقف تركيا منهم بإثارة فكرة (التتريك) أولا ثم بقتلها زعماء العرب وأحرارهم ثانيا هم ما حفزهم للانضمام إلى الحلفاء .

وتطوع شباب العرب العراقيين والسوريين واليمنيين والفلسطينيين في الثورة الجديدة وهاجروا إلى الحجاز واشتركوا فيها ولكن الانجليز لم يكونوا مخلصين لعهودهم ولا صادقين في وعودهم ذلك لأنهم بعد أن اطمأنوا بإعلان العرب عداوتهم للترك حصروا الثورة في دائرة ضيقة لاتتعدى الحجاز نفسه وفي الوقت الذي عقدت فيه معاهدة سوريا (حسين مكماهون) كانت تعقد معاهدة أخرى بين الانجليز والفرنسيين باقتسام العراق وسوريا .

كان من نتائج هذه الثورة أن أصبح في الحجاز حكومة هاشمية مستقلة على أن

يتولى فيصّل عرش سوريا ثم تقوض فرنسا هذا العرش فيعطى عرش العراق ويتم أمر ولاية الأمير عبد الله على شرق الأردن ثم ينفي الملك حسين إلى جزيرة قبرص .

غضب العرب على موقف الترك منهم وتجاهلهم لإياهم والتفكير في تتركهم أملا في إنشاء جامع طورانية تعيد مجد الأتراك القدماء الذين جاموا من أواسط آسيا . وهم تحت سيطرة هذه الفكرة قد نسوا مقامهم في العالم الإسلامي كدولة الخلافة الإسلامية .

حينذاك بدأ تفكير الأمة العربية في التخلص من نير تركيا وما أذاقته للعالم الإسلامي من ذل وهوان وأخذت الاقطار الإسلامية تعقد المؤتمرات وتدرس الخطط — في الحجاز والعراق وسوريا وفلسطين . وكانت أقوى الاقطار وأشدها حماسة وقوة (سوريا) .

واجتمع المؤتمر العربي في باريس وعقد جلساته سنة ١٩١٣ رغبة في حمل الحكومة التركية على الاهتمام بالمسألة العربية وفي سنة ١٩١٤ دخلت تركيا الحرب ضد الحلفاء ومع ألمانيا وأخذت تمنع في رجالات العرب شنقا ونفيا في الوقت الذي كانت تركيا أخرج ما تكون فيه إلى كسب ود العرب .

ثم أخذ زعماء العرب — تحت ضغط الحوادث — يفاوضون الشريف حسين أمير مكة في زعامة هذه الحركة وعرفت تركيا رغبة العرب في الثورة عليهم والتحرر من نيرهم والسعي للاستقلال فأرسلت جمال باشا السفاح إلى سوريا وكانت خطته استقبادي محضه يحاكم زعماء العرب ويسوقهم إلى المشانق وينفي من يشاء منهم إلى الأناضول فزادت بذلك نفمة العرب على الترك كما أسلفنا وتدخل اليهود في إغرائه بالعرش . وتبقى الأتراك أن الشرارة الأولى ستندلع في الحجاز فأرسلوا إلى حدوده ٣ آلاف مقاتل وظلت دمشق مركز الحركة العربية ومركز الأحزاب السياسية يريدها ما يفعل جمال باشا في أحرارها قوة وحماسة وإيمانا بوحدة العرب وبوقرفهم في وجه تركيا واستخلاص حرياتهم منها .

وظل فيصل حجر الرحي في هذه الثورة إذ كان دائماً الاتصال بجبال وأنور . وحلقة الاتصال بين مكة والآستانة يدرس القضية العربية بدقة ليعلم هل وصل اللهب إلى الفتيل وهل وصل الأمر إلى الحد الذي يساعد على الثورة ولا يني يواصل درس الخطط مع رجال الثورة في دمشق .

ثم اتصل اللورد كيتشنر بالشريف حسين في مكة في أول الحرب العامة يسأل عن موقف العرب من هذه الحرب وقد ظهرت نيات تركيا في الانضمام إلى المانيا ، وأكدت إنجلترا وعودها بمساعدة العرب في نيل حرياتهم . وتقدم الحلفاء في تركيا وفي العراق - عندئذ أعطى العلماء في سوريا مضبطة سرية إلى فيصل بتوقيع علماء سوريا يبايعون فيها الحسين بن علي ملكاً على البلاد العربية وكانت موقعة أيضاً من رجال الجيش وضباطه كما مثلت فيها سائر الطوائف كالدروز والبدو .

ماطات إنجلترا أول الأمر الشريف حسين في إعطائه وعداً واضحاً معلوماً واستمرت المخابرات بينه وبين مكماهون حوالي عام ، كان الإنراك خلاله قد مزقوا الجماعات العربية والأحزاب السياسية وسجّوا كثيراً من الأحرار .

وفي غضون سنة ١٩١٦ أعلن الشريف حسين الثورة بمحاصرة القوات العربية للمراكنز التركية وفي أمد بسيط أصبح في قبضة العرب ٢٢ ألف جندي تركي . وتأكد لدى الشريف حسين أن الثورة هي التي تحقق مطالب العرب وقد استمر التفاهم بينه وبين إنجلترا وأمدته الأخيرة ببعثة عسكرية وكميات وافرة من الذخائر وأمدت فيصل بالكابتن لورنس الذي كان يرى في فيصل زعيم النهضة العربية وإن أزعج هذا الشريف حسين الذي جعل نفسه المرجع الأول والاخير في كل أمر .

أصبحت البعثة العسكرية هي الهيئة الاستشارية لجيش الشمال الذي يقوده فيصل ويحاصر (الوجه) وينبع . ومن قواده جعفر العسكري ونوري السعيد يعملان مهمة وتهيئان لاقحام العقبة . وجيش الإنجليز بقيادة المارشال اللنب يمكن مركزه في فلسطين ومن ثم انفتحت إنجلترا والشريف على أن يعمل الجيش العربي مع جيش الحلفاء في التقدم إلى فلسطين فيصل « فيصل » إلى العقبة في (آب ١٩١٧) .

وفي صحراء سيناء قوة بقيادة النبي وهناك قوى أخرى تعمل في العراق وتحارب الترك . وتركيا ما تزال مهتمة بشط العرب وبإمدادات العراق . وانجلترا تحفز لاحتلال العراق محافظة على المصالح البريطانية في الهند وآبار البترول وترسل حملة قوية إلى جهة البحرين وتتصادم هذه القوات الهندية مع القوات التركية في أرض العراق ويتولى العمل وتنظيم الخطط الحربية برسى كوكس، وانجلترا تحاول تنظيم الحياة في العراق بما يوافق العقلية العربية لتحمل أهله على مساعدة الحكومة الجديدة — والحجاز كله قد انضوى تحت لواء الشريف .

واضطرت انجلترا أن تحارب العرب في العراق لأنهم كانوا نواة الجيش التركي وظلت المناوشات والوقائع بين الترك والعراق والإنجليز حتى سنة ١٩١٧ حيث تمكن الجنرال مود من اقتحام بغداد واحتلالها وكان ذلك قبل وصول فيصل إلى العقبة بشهر واحد، ثم تم للإنجليز بعد ذلك الوصول إلى الحدود العراقية .



بينما تتقدم القوات العربية والإنجليزية نحو سوريا ويجلي عنها الترك بقوة العرب وهمة فيصل ومعونة جعفر ونوري ، إذ يظهر خبر اتفاقية (سيكس باكو) السرية التي عقدتها فرنسا وانجلترا لتقسيم سوريا والعراق والتي أرسلها الألمان إلى الأتراك فأرسلها هؤلاء بدورهم إلى المعسكر الحربى العربى . وقد كان وقع هذه المعاهدة بعد المحادثات الشفوية والتحريرية التي تمت بين الشريف ومكماهون العميد البريطانى في مصر ١٩١٥ غاية في السوء فقد تكشف للعرب بعد هذا الجهاد الشاق الطويل أنهم إنما كانوا يعملون لحساب انجلترا وأن الإنجليز كانوا يبيتون لهم سوء النية ؛ والعرب الذين خدعوا اليوم ما كانوا ليعملوا مع الحلفاء إلا وهم على وعد أكيد وصك مكتوب بالمحافظة على استقلالهم، ولكن هكذا وعود الغرب يذر رمادها بعد كتابتها في الهواء .

كانت إنجلترا ترى مصالح حليفها فرنسا وتبغى إعانتها على مواصلة العمل معها فعدت معاهدة سيكس باكو على حساب العرب اتفقوا فيها على أن

تكون إدارة فلسطين بواسطة نظام دولي وأن تقوم فرنسا على سوريا والآنجليز على العراق وأن يترك للعرب ما بقى من البلاد لإنشاء دولة مستقلة بها .

تلك حقائق مؤلمة يجب على شباب العرب والإسلام أن يعرفها ويفقهها جيداً ليكون على بينة صادقة ويقين أكيد من أن وعود الغرب كاذبة وأن معاهداتهم يمكن تمزيقها وقت كتابتها أو بعده بقليل . وأن المفاوضة ليست الوسيلة الصحيحة لنوال الحقوق إنما هي لون من الاستجداء . والوسيلة الصحيحة هي انتزاع هذه الحقوق انتزاعاً والعمل لها بجهد متواصل مركز . تذكرت انجلترا لهذا التصريح وأبلغت العرب أنه غير صحيح؛ ثم يظهر بعد في مؤتمر الصلح أنه الحق الواضح الذى يقوم على أساسه الاحتلال فى الاقطار العربية .

وهكذا تظهر سياسة الغرب الاستعماري على وجهها الصحيح — سياسة العنـس والتدليس — سياسة الالفاظ المطاطة المخدرة الخداعة . سياسة الكلام على نسق والعمل على نسق آخر . سياسة الحقد الدفين للعرب وللإسلام — سياسة تحطيم القوى المتجمعة وتمزيق الكتائب المتحدة: هذا درس يجب أن ننساه إلى جوار الدروس التى فصلناها فى هذا الكتاب .

استغل الانجليز موقف العرب من تركيا وخصومتهم لها وكراهية الشريف لهم لدحر الترك وإجلائهم عن هذه المنطقة العربية الممتدة من جزيرة العرب إلى حدود البحر الأبيض غرباً وإيران شرقاً وقد عملت الجيوش العربية الباسلة جادة لتتال حربتها وتقدم شبابها . لتقيم على أشلامه الشهيدة بناء الوطن الجديد فإذا هي تلاقى بعد النصر والظفر ، بلاء التقسيم والاستعمار والاستبداد بأبشع صورته .

كان موقف دمشق بعد ذلك موقفاً مضطرباً بين إنجلترا وفرنسا وبين فيصل والجمهورية .

فرنسا تطالب أن يعهد إليها بإدارة ساحل لبنان وانجلترا تريد أن تبقى بتعهداتها لصديقتها فرنسا . أما العرب فماذا يهم الإنجليز منهم وقد أدوا واجبهم على الوجه الذى أَرْضاهم وحققوا بدمائهم هزيمة الترك وأجلوهم : عليهم أن ينالوا الجزاء استعماراً وتمزيقاً . حتماً لقد كان العرب أداة لإجلاء الترك عن بلادهم ليسلموها للإنجليز والفرنسيين وآأسفاه .

وتتابعت النكبات بتصریح بلفور وبمعركة ميلسون وبثورة العراق ومصر .

ملاحظات على الثورة العربية الكبرى

١ - قتال العرب والترك قصة قومية لا دينية فقد خرجت المسألة من دورها الديني إلى دور التعصب القومي .

٢ - كانت رغبة العرب الأولى هي الحرية والسيادة والتخلص من نير تركيا فقد شعروا أن تحرير العرب هو الهدف الأول - وهذا هو الرد الإيجابي لموقف تركيا ومحاولتها سحق القومية العربية تحت لواء تريك العناصر؛ تلك الفكرة التي كانت تدعو لها جماعة الاتحاد والترقي .

٣ - حالة تركيا الحربية كانت تستدعي منهم الكياسة والحكمة في كسب العرب إلى صفوفهم لا إلى إزعاجهم بهذه الفكرة العقيمة بما دعاهم إلى التمرد عليهم وإنشاء الجمعيات السرية ضد دولة الخلافة .

٤ - بعثة أحمد جمال باشا إلى دمشق كانت سبباً مباشراً في اشتداد النفره بين العرب لما عاملهم به من قسوة ولما قدم من زعمائهم وأحرارهم إلى المشائق فقد كانت حركة إرهابية محضة غير قائمة على التحقيق الدقيق أو على إعدام من «اعد العدو» بل أصدر أمره بإعدام سادة البلاد وعلية القوم وأهل الرأي .

٥ - برهن أهل سوريا على إيمان صادق بقضيتهم ورجولة قوية في مختلف مواقف الثورة حتى أن الرجال كانوا يتقدمون إلى المشائق يمثلين ثقة بأنهم يموتون شهداء في سبيل تحرير العنصر العربي وفي سبيل عزة الوطن مما لا ينسى لسوريا اعترافاً بأنها كانت ولا زالت حجر الزاوية في بناء صرح الوطن العربي المتين فقد كتبت الصفحات الأولى في عزة العروبة وبجد الإسلام بمداد الشهداء ولا ينسى أبداً موقفها الباسل في «وقعة ميلسون» وثوراتها المتصلة في سبيل حريتها وعزتها .

٦ - كان موقف تركيا دائماً من الشريف حسين موقف العنف فقد كتب إلى دولة الخلافة يطلب العفو عن المتهمين رغبة في إرضاء العرب ومداواة

لقلوبهم ليقضوا في صف الدولة العلية فكانت إجابتها جافة جداً ، وكان طبيعياً أن هذا ليس (أسلوب الوقت) خصوصاً بالنسبة للعرب وهم يمثلون غالبية الممالك التابعة لتركيا .

٧ - حاصر الاسطول البريطاني مسالك البحار إلى الحجاز ، والحجاز مورده من الحج ، وقد قطعه الحرب فتعذر وصول المؤن إلى الحجاز .

* * *

أمام هذه الفظائع كلها كان لابد للشريف حسين خصوصاً وقد غلى مرجل العرب نقمة على الترك بالمركز الهام للقضية العربية (سوريا) وبعد تفويض أهل سوريا له كان لابد له أن يعلن الثورة على تركيا وأن يدخل الحرب مع الحلفاء متأكدين من الوعود التي قطعت بإقامة المملكة العربية بحدودها التي تم الاتفاق بين الشريف وبين انجلترا بشأنها . وإن كنا نأمل إن شاء الله أن تتحقق آمال العرب في القريب ويتم لهم أمر حريتهم وعزتهم .

حركات الزحف

الاستعمار السافر وجهاد الأقطار العربية^(١)

في نصف قرن

كلية عامه

مصر - السودان

سوريا - العراق

تسيطر الدول العربية على أرض مساحتها ٤ ملايين كيلو متر مربع يقطنها ٧٠ مليون نسمة وقد كانت هذه الأقطار تابعة للخلافة العثمانية ثم استقلت مصر داخلياً في أيام محمد علي وإن بقيت تابعة لتركيا من ناحية واحدة هي أداؤها الجزية ثم امتنعت أيضاً عن ذلك بعد عقد ولاية مصر في محمد علي وأبنائه .

كان الاستعمار الغربي مقنعاً يخفي وراء التجارة والارسلالات العلمية قبل الحرب الكبرى وبعد العدة لغزو منظم اجتماعي وتجاري وعلى إلى أن أعلنت الحرب الكبرى وانضمت تركيا إلى جانب ألمانيا . وانضم العرب إلى جانب الحلفاء ثم أسفر الاستعمار بعد أن وضعت الحرب أوزارها عن معاهدة (سكس باكو) التي عقدتها فرنسا وإنجلترا وأطلقت كل منهما يد الأخرى في شطر من الامبراطورية العربية التي تعاهدت إنجلترا مع الشريف حسين على معاونة العرب في أقامتها .

ماذا كانت حالة الممالك العربية كلها إلى قيام الحرب الكبرى ١٩١٤؟ كانت فرنسا قد استولت على تونس ١٨٨١ ودخلت مراکش ١٩١٢ وكانت إيطاليا قد استولت على طرابلس ١٩١١ وكانت مصر محتلة منذ ثورة عرابي وكان السودان يحمل اسمين مشتركين ويحمل قوة واحدة تعمل فيه دون حساب أو رقابة .

وكان الشريف حسين قد استقل بحكم الحجاز واتفق مع بريطانيا على إقامة مملكة عربية بعد نهاية الحرب ومن ثم والت سوريا والعراق والحجاز الحلفاء

وفتحت صدرها لجيوشهم لتتخلص من نير الأتراك في انتظار فجر جديد من الحياة الحرة الكريمة .

وكانت تركيا تواجه الثورات المختلفة من أجزاء الامبراطورية العثمانية وكان قوادها ينقلون شمالاً وجنوباً وشرقاً وغرباً ليطفئوا الثورات وليقضوا على حركات التمرد الفاشية من جراء الاحتلال الغربي في طرابلس وسوريا والاستقلال في القوقاز والبلقان .

وكانت أوروبا قد انتهت وأخذت تعين دول البلقان على حرب الأتراك باسم الصليبية وكانت إيران تقاسى بلاء الاستعمار وضغط الروس والإنجليز . وكانت الحياة عامة تلبس لوناً قاتماً : يقظة مشردة بعد طول ركود وشعور بالضغط الاستعماري الملمم الذي كان يفعل فعله في الاقطار الإسلامية والرجل المريض في أشد حالات الضعف .

هذا الاستعمار الملمم الذي كانت أوروبا تتقدم به في الشرق كان يحمل في أعماقه كراهية للإسلام وحقداً عليه - ورغبة في اقتناص ما في هذه البلاد من الخيرات والموارد والغلات ومنابع البترول والحديد التي بدأت تستولى عليها أوروبا منذ أن وقفت بجوار دولة الخلافة تحميها .

ولكن هل كان الشرق الإسلامي نائماً حقاً ؟ الواقع أن عوامل اليقظة كانت قد دبّت فيه إلى حد كبير منذ بدأت حركات السنوسى والمهدى وعرابى ثم كانت حركات محمد على الكبير وأفكار جمال الدين الأفغانى قد قرعت آذان الشرق ونهته إلى التفكير - فقد تقل جمال الدين بين الاقطار الإسلامية يدعو إلى الجامعة والوحدة وخلفه من بعده محمد عبده وعبد الرحمن الكواكبي في الكشف عن أساليب المستعمرين وضرائق الاستبداد في حكم الشرق . كل هذه العوامل كانت خمار اليقظة الكبرى التي كانت تنتظر دورها المهيأ لها بعد الحرب الكبرى وبعد تمزيق الوطن الإسلامى بين ايطاليا وفرنسا وإنجلترا . هذا التمزيق الذى أنتج الثورات والحركات الفعالة في كيانه وفى التدليل على أن الحياة قد دبّت فيه فقد انتهت الحرب الكبرى كما أسلفنا بمعاهدة سكس باكو فقسمت الشام الى أربعة أقطار ثم قسمت المغرب وحدثت ثورات فلسطين والعراق وسوريا ومصر وليبيا ولم يبق جزء من العالم الإسلامى لم تتناوله الثورة .

وبعد أن ورثت أوروبا أملاك الدولة العثمانية بعد العهد المؤكد والوعد المكتوب إلى الشريف حسين صرحت تصريح ٢ نوفمبر ١٩١٧ هذا التصريح المشؤم الخاص بوعدها بإنجلترا بإقامة وطن قومي في فلسطين ومن ثم دخل الإنجليز القدس في ٩ ديسمبر ١٩١٧ وخطب اللورد اللبي خطبته المشؤمة في ٧ نوفمبر ١٩١٨ حيث قال : (إن الغاية التي يرمى إليها الحلفاء من خوض غمار الحرب في الشرق هي تحرير الشعوب التي تحت حكم الأتراك وتأسيس حكومات وطنية تستمد سلطتها من رغبة السكان الوطنيين ومحض اختيارهم وأنه ليس لبريطانيا ولا لفرنسا أي قصد في وضع نظم خاصة لحكومات هذه الأقطار ، وكان هذا الكلام المعسول شبيهاً بالكلام الذي قاله برسي كوكس في العراق فقد تبين لنا أن المستعمرين يحسنون صياغة الألفاظ ولا يبالون بالوعود الباطلة . وذلك يتضح جلياً مما لاقته هذه الأقطار من المستعمرين طيلة هذا الربع قرن وما كان من تشريد الزعماء والأحرار والطبقة المثقفة وتكليم الأفواه والنبي والتشريد لكل من يحاول أن يقف في وجه الاستعمار الغاشم مستعنيين على ذلك بالخونة من أبناء البلاد مما فصلناه في رسالة الإسلام يزحف ، وفي رسالة حضارة استعمار وتغريب ،

أين ضاعت وعود الانجليز للعرب في الحرب الكبرى بعد أن تخلوا عن الترك وعاونوهم ؟ أهو استبدال استعمار باستعمار أو ظلم بظلم ؟ أهذا التزيق الذي مزقوه لجسد الأمة العربية الإسلامية ؟ أهذه الشوكة الصهيونية التي يريدون أن يغرسوها في صدر الأمة العربية ؟ أهذه الأرواح التي استشهدت وتستشهد في فلسطين والمغرب وسوريا ومصر من جراء الظلم والعنف الذي أذاقه المستعمر للبلاد العربية .



لقد مزقوا الشرق العربي تمزيقاً ، وحالوا بين أهله وبين بعضهم وبعض بالحواجز والسدود . وأقاموا في كل قطر نظاماً يختلف عن نظام القطر الآخر بغية في والتفرقة . حكم مطلق في المملكة السعودية واليمن . حكم ملكي في مصر والعراق وجمهورية في سوريا ولبنان . حكم قبائلي في إمارات خليج العرب

وجنوب اليمن . الإدارة الداخلية على طريقة شرعية في بعض النواحي وعصرية في البعض الآخر .

فهي شرعية إمامية كالين — وهي لا تنقيد بالاصول الفقهية الإسلامية كمصر والعراق وسوريا .

وهناك نظام القبائل والإمارات في الحج وحضر موت ومسقط وعمان وزنجبار أقطار ما بين مستقل وشبه مستقل وحماية واستعمار ووصاية وخاضع للانتداب ، ولم يقف الأمر عند هذا بل هناك التمزيق الداخلي : بربر وعرب في شمال أفريقيا ، دروز — علويين في سوريا ، مسلمين ومسيحيين في لبنان — سنة وشيعة وأكراد في العراق — سودان شمالي وسودان جنوبي في وادي النيل . ومن لم تمرقه الطوائف مزقته الأحزاب .

وإن كنا نعتقد أن وجود عناصر غير إسلامية في الاقطار الإسلامية لا يثير أى مشكلة في وجه الاتحاد والجامعة لأن هذه العناصر عاشت قروناً عديدة إلى جانب أقرانها متمتعة بجو من التسامح التام فضلاً عن أن الاقطار الإسلامية تأمل في سياسة التجمع لتقف صفاً واحداً أمام الاستعمار الغاشم .

صفدت أوروبا الشرق بالاستعباد وبرعت في أساليبه خلال هذا النصف قرن ولكنه كان يلقي دائماً أشد المقاومة في كل الاقطار الإسلامية بما ستره مفصلاً في الفصول المقبلة والامل معقود في الشباب المتحمس لوطنه ولدينه أن يكون دائماً مثال الاستعداد للتضحية والفداء والذود عن هذه الحرية وأن يتعاون ويتكامل حتى يكون قوة منظمة تصدر عن رأى وعن قيادة ولها غاية مرسومة ومنهاج محدد ولينظر شبابنا في هيئاتنا العاملة فسيرى فيها المخلصين الصادقين الطاهرين الأيدي الذين لا يخافون في الله لومة لائم . ولا يخشون أحداً إلا الله . أولئك الذين هداهم الله فبهدهم اقتدا .

لا عزة إلا بالإسلام ولا حكم إلا بالقرآن — مادة خالدة يجب أن تحفر على صفحات القلوب وأن تتجاوبها الألسنة صادقة مؤمنة متأكدة أنها حبل النجاة .

قضية شمال وادى النيل

موجز للحركات الفكرية والسياسية في مصر في العصر الحديث

- ١ — بونا بون في مصر .
- ٢ — قضاء محمد علي على المماليك .
- ٣ — حصر إرث المملكة المصرية في ذريته .
- ٤ — حصر مناصب الجيش المصرى فى الاتراك والجراكسة .
- ٥ — موقف أحمد عرابى وزملائه من هذا الوضع .
- ٦ — مطالبته بالدستور والحكم النيابى .
- ٧ — دخول الإنجليز البلاد بعد تفاقم الديون باسم حماية الخديو والدفاع عن عرشه سنة ١٨٨٢ .
- ٨ — نفى زعماء الثورة بعد محاكمتهم إلى سيلان .
- ٩ — ممثل إنجلترا فى مصر هو المتصرف فى كل شىء من وراء ستار .
- ١٠ — تنظيم الضرائب وتقديم الرى والزراعة وإنشاء المحاكم الأهلية .
- ١١ — حرية الصحافة والحرية الشخصية .
- ١٢ — بدأ النزاع بين مصر وإنجلترا فى سبيل تحرير مصر .
- ١٣ — التعليم فى مصر يخرج موظفين .
- ١٤ — محاولة لإفهام المصريين أنهم أبناء قطر زراعى لا يصلح للصناعة وبذلك يؤخذ قطن مصر إلى أوروبا .
- ١٥ — رموس الأموال والمصارف وإدارة دفة الأسواق بأيدى الإنجليز واليهود .
- ١٦ — التفكير فى مجلس تشريعى نصف مقاعده للأجانب من كل الجنسيات .
- ١٧ — احتلال مصر وإعلان الحماية فى أول الحرب الكبرى سنة ١٩١٤ .
- ١٨ — دعاية الحرب الكبرى الأولى باسم حق تقرير المصير .
- ١٩ — ثورة ١٩١٩ - ومطالبة مصر بالجللاء وتصريح ٢٨ فبراير .
- ٢٠ — اتفاق ٢٦ أغسطس ١٩٣٦ ومعاهدة مونترو ١٩٣٧ .
- ٢١ — الحرب الكبرى الثانية وميثاق الأطلنطى وإعلان مصر الحرب على المحور .

بونابرت في مصر - الحملة الفرنسية يوليو - ١٧٩٨

كان نابليون يفكر في غزو مصر تفكيراً له مقدمات طويلة شغل بها الغرب كله ، فقد كان مركزها الخطير دائماً موضع التقدير والنظر من أوروبا التي تفتحت عينها للاستعماريتين على غزو الشرق خاصة ، بعد المحاولات الاستعمارية الأولى التي حارلتها هولندا في خليج فارس ، وشركة الهند الشرقية التي أصبحت سلطاناً مسلحاً في الهند - وأصبحت الهند درة التاج البريطاني ، وأصبح طريقها وتأمينه من أهم ما تحرص عليه إنجلترا وتحافظ عليه - ومصر في طريق هذا الخط وهي قلب الشرق الأوسط وزهرة الشرق أجمع وطريق الهند. فلا بد أن تنو إليها فرنسا وتهتم بها . وفرنسا في فجر نهضة نابليون ترغب أن تراحم إنجلترا وتسابقها وقد كان لها من قبل حصّة في الاستيلاء على سواحل الهند وكان هذا الغزو الفرنسي أول قوارع الإيقاظ بعد طول السبات الخيم الذي ابتلى به الشرق خلال العهد التركي وأول دواعي التحفز بعد طول الغفلة والذل فقد حرك هذا الغزو الوطن كله وأثار في شبابه وشيوخه روح الثورة والحرب والمكافأة والشعور بالغاصب وسلطانه فكان هذا أول علامات الشفاء للريض الذي طال به المرض حتى أصبح حياً كميّت وموجود كمفقود .

كان نابليون يطمح كالإسكندر أن ينشئ إمبراطورية في الشرق فكان هذا مفتاحاً لرغبته وبالرغم من أن الحملة فشلت وأن أسطول نابليون تحطم . وأن الشعب ثار على الفرنسيين داخل البلاد في أكتوبر ١٧٩٨ أى بعد مضي أربعة شهور إلا أنها كانت كما قلت أولاً نداء للإيقاظ ومنها لتسلط القوى الغربية المسلحة على الشرق النائم وفي مقدمته مصر ،

وقد كانت مصر في حالة من الفوضى عجيبة فقد ألف الناس بطول عهود الاستبداد والذل والمهانة والتواكل والتسليم للغاصب والرضى به . وذلك لأن العلماء أنفسهم كانوا بعيدين غاية البعد عن فهم الإسلام فهماً صحيحاً وكانوا قد ساروا في ركاب الغاصب راضين بموائده ونضاره فكان طبيعياً أن

يصبح الشعب في مثل هذه الحالة من الذل والمهانة لأن قادته وموجهيه انصرفوا عن فهم دينهم والتمسك به .

وكذلك كان العلماء أنصاراً ل نابليون وقد استفاد منهم كما كتب في مذكراته لانه عرف منهم التسليم والقبول والبعد عن العزيمة الصادقة والتمسك بالحقوق وعرف عنهم مغزراً كبيراً إنهم لا يركبون الخيل ولا يعرفون فنون الحرب فهم لذلك أسلم من يعين على الاستعمار وعلى حكم الشعب وترضيته فاتخذهم أعواناً — وفي عام ١٧٩٩ قفل نابليون عائداً إلى فرنسا بعد أن استعصى عليه الفتح في الشرق . وكانت هذه الحملة أول من حمل إلى الشرق حضارة الغرب الماجنة الداعرة ممثلة في الجنود الفرنسيين واستعدادهم الخليلق وتهالكهم على الخمر ورغبتهم في محاربة الإسلام والعبث بتقاليد المسلمين وإهدار كرامة المصريين ، ولا عجب ففرنسا تعتبر نفسها حامية الكنيسة وناشرة لواء الحضارة الجديدة . وهي لا تنسى هجمات مسلمي الأندلس على حدودها واقتحام بلادها حتى نهر اللوار وموقعة بلاط الشهداء .

وبالحملة الفرنسية تنهت إنجلترا إلى موقفها من تركيا الضعيفة التي عجزت عن رد نابليون وبموقع مصر في طريق الهند فبدأت تتدخل في أمر مصر وترقبها في حذر وبقظة وتلتزم الفرصة الموتية لتضع يدها عليها .

هذه الفرصة جاءت أيضاً عن طريق فرنسا بحفر قناة السويس فاقتربت الهند وأصبحت مصر مركزاً خطيراً بالنسبة لطريق الهند ثم جاءت ديون اسماعيل وأخطاء الثورة العرابية حين غفل عرابي عن قناة السويس بخداع دلسبس بحرمة المعاهدات وقد كان لا يدري أن المعاهدات في عرف ساسة الغرب حبر على ورق سرعان ما تنتهك .

وقد كان دخول فرنسا إلى مصر مشجعاً للدول الأخرى على مهاجمتها والاستيلاء عليها والاستفادة من مركزها في خطوط المواصلات والموقع الحربي والوضع السياسي والجغرافي على شاطئ البحر الأبيض بين القارات الثلاث .

وقد ظلت فرنسا بخلافها مع إنجلترا تنافسها على الشرق إلى وقت قريب

وظلت نصيرة لمصر وموئلا للدعاة أمثال مصطفى كامل باشا حتى اتفقتا على تقسيم حصّة الاستعمار بينهما على أن تتنازل فرنسا عن مصر لانيجلترا ويتنازل الإنجليز عن تونس لفرنسا وبذلك انكشف لمصر أن فرنسا كانت معهم لا لأنها عدوة الاستعمار بل لأنها تريد نصيبها مع الإنجليز . وعرفت مصر بعد ذلك أن الغرب كله سواء في هذه الغاية . بل لعل فرنسا أشد استبداداً وقضاءً على كيّان القومية العربية فيما تحتل من أقطار ، وأنها ما كانت تقف هذا الموقف من مصر إلا لتصل إلى جزء من حصّة الرجل المريض ، ويبدوا أن نابليون كان يفكر في تكوين وحدة عربية إذ كانت الخصومة والعداء العنصري قد استحکم بين تركيا والعرب ومن ثم ظهرت المسألة العربية . ومن ثم بدأ المصريون يفكرون في آفاق جديدة من حضارة أوروبا وبدأ اشتراكهم في حكم البلاد بدلا من الاتراك في الاعمال الهامة .

حملة نابليون كانت أول هزة رجّت الشرق العربي ودعت أبناءه إلى التضامن فقد كانت الحملة موجهة إلى الشرق كله . وقد فشلت من الناحية الحربية والسياسية ولكنها أدخلت الحضارة الغربية إلى الشرق وأيقظت أفكاره . واقد عرف نابليون كيف يستخر بالمصريين فعلاً منشوراته بكلمات روحية ذكر فيها الله والإسلام والقرآن وأعلن كراهته للمماليك - وحبّه للباب العالي ، ووعد بترقية المصريين في الوظائف . وأنه ضرب كرسي البابا في طريقه إلى مصر لآفته عدو المسلمين ، بل وبالع أكثر من ذلك فقال إن الفرنسيين مسلمون ، كل ذلك رغبة في توطيد مركزه ، واستعمل العلماء لهواه واستخفهم فأطاعوه وقربهم وأغراهم بأنهم هم أصحاب البلد وأن المماليك غرباء ، ووهب ذهبه للعلماء والخونة ، واستعمل ذهبه للمنافقين والمدافعين عن الوطن وقد دخل فرسان الجيش الفرنسي الأزهر بخيولهم فذهب العلماء لنابليون محتجين فاشتراط عليهم نابليون أن يصدروا بياناً للناس أن الطائفة الفرنسية تحب الإسلام وقد حاول نابليون أن يدخل في أذان الشعب أن فتحه لمصر قدر وقضاء من الله يحب الامتثال اليه والرضى به .

كانت حالة مصر بعد الحملة الفرنسية وعودتها للأتراك أسوأ مما كانت أولاً فقد عرف الأتراك بأنهم لا يقيمون وزناً للاصلاحات الداخلية وإنما يهمهم (الجباية) ولما كانت موارد ثروة مصر في تأخر فقد كثرت حوادث السلب والنهب والسطو على البيوت والمحال التجارية وكانت حالة المجتمع تنذر بشر كثير فقد انقسم الأتراك ونشب بينهم خلاف كان يؤدي دائماً إلى معارك مستمرة . وقد كان من نتائج الحملة ضعف أثر المماليك بعد أن كان لهم السلطان الأول في مصر من قبل . وقد أصبح للإنجليز منذ الاتفاقية التي تمت بينهم وبين الأتراك ١٧٩٩ سلطاناً ، وحاصرت قواتهم سواحل البلاد وموانئها إلى ١٨٠٢ م وكانت إنجلترا تعمل على زيادة نفوذها داخل البلاد . وكان من نتائج هذه السياسة أن انفقت تركيا وفرنسا فأزرت الإنجليز المماليك داخل البلاد لتحفزهم للثورة على النفوذ التركي بقيادة محمد بك الالفي ثم فكرت بعد ذلك في غزو مصر ١٨٠٧ فأرسلت حملة بقصد الفتح والغزو فردت مهزومة على أعقابها .

محمد علي ١٨٠٥

استيقظ الشعب المصري وعرف حقوقه وتمسك بها وعرف أنه تحت لواء دولة ضعيفة تستجدي عطف إنجلترا مرة وفرنسا أخرى فاختر لنفسه حاكماً راضيه واطمأن إليه هو محمد علي - ومهما يكن من أمر محمد علي فإن الشعب هو الذي اختاره ورضيه . وقد حقق محمد علي ثقة الشعب فيه فبدأ عهده بضربات قوية كانت إرهاباً لتركيا ولدول الغرب بأن مصر تسعى إلى الحرية من أقوم الطرق فوقفت أوروبا باهتة متربصة تنتظر لهذا الجواد القوى كبوته .

١ - بدأ محمد علي حكمه بالقضاء على المماليك وكان أظهر ضربة سددها إليهم مأدبة القلعة ١٨١١ .

٢ - هزم حملة إنجلترا التي جاءت إلى سواحل مصر بقيادة فريزر ١٨٠٧ .

٣ - حملته على بلاد العرب ١٨١٢ .

٤ - حملته إلى السودان ومنابع النيل ١٨٢٠ .

٥ - حرب المورة ١٨٢٤ .

وهكذا بدأ محمد على حياته العملية بنشاط عجيب في الداخل والخارج واستطاع في خلال خمسة عشر عاماً أن يوطد مركز مصر خارجياً كدولة مستقلة مهيبة الجانب لا تقنع بصلتها بتركيا بل تؤمن يقوتها كدولة حرة - وداخلياً بالتنظيم والتكوين وعلى أساس ذلك وطد محمد على مركزه كحاكم محكم قدير بعيد النظر قوى العارضة .

أما في الداخل فقد كان الاضطراب يشمل المجتمع كله خاصة الضرائب والجيش فأعاد الأمور إلى نصابها فكون الجيش وبذل في ذلك جهوداً جبارة وأصلح الزراعة بتوفير طرق الري وتوزيع الماء وإدخال أنواع جديدة من المحصولات كالقطن والحرير والدخان ، وفرض الضرائب ونظم عمليات التصدير وكون الاسطول وسهل المواصلات وعنى بالتعليم داخلياً وإيفاد البعثات المتنوعة في كل فن . أنشأ المصانع في مصر تمد الجيش والاسطول بلوازمه فاستخدمت الأيدي العاملة وعم الرخاء .

أما في الخارج فقد كان محمد على طموحاً إلى تكوين دولة عربية كبرى وقد كان يعرف الخلاف القائم بين الأتراك والعرب ، ورغبة العرب في الانضواء تحت لواء موحد ، فكانت حروبه في جزيرة العرب وفي الشام وفي السودان وفي شبه جزيرة المورة إعداداً لهذه الفكرة التي لم تلبث أوربا أن تجمعت لها وهدمتها فقد أزعجها محمد على بانتصاراته وقرته ، وقد كانت الكتيبة المصرية قديرة على خوض المعامع والحروب . وأنشأ محمد على الاسطول البحري بعد جهد ، فقد كانت تحاك الدسائس لتحول دون شرائه لوازمه من الأخشاب وغيرها ، ونزلت أولى السفن بالبحر في ٣ يناير ١٨٣١ .

وعنى محمد على بشق ترعة المحمودية وبناء القناطر الخيرية وتهيئة طريق القوافل بين البحرين لنقل التجارة من أوربا والشرق الأقصى ، وأصبح الجيش مكوناً من ٢٠٠ ألف جندي ، وكان بمصر ١٤٥١ دولار غزل — و ١٢١٥ نول يعمل عليها ٢٠ ألف عامل .

وأنتجت المصانع كل أنواع الأقمشة من البفتة إلى الأجواخ وكذلك الأسلحة والطرابيش فضلاً عن مسابك الصلب ومعاصر الزيوت .

نفارين ١٨٢٤

كانت شبه جزيرة المورة قد ثارت تريد الانفصال عن الدول العثمانية وعجز السلطان عن قمع الثورة فعين محمد علي حاكماً على كريد والمورة وأصدر إليه أمره بإرسال كتائبه لقمع الثورة فأرسل إلى كريد حملة مكونة من ١٧ ألف جندي، وكان أسطول هذه الحملة مكوناً من ١٩٨ قطعة مابين حربية ونقلية وتجارية فقمعت الثورة وسقطت أثينا في ١٨٢٧ .

عندئذ تدخلت أوروبا المسيحية لتحمي اليونان من تركيا المسلمة دولة الخلافة ومن مصر القوية الفتية فأقرت هذه الدول معاهدة لندن ١٨٢٧ التي تقضى بفصل اليونان عن تركيا نهائياً . وقد وقعتا إنجلترا وروسيا وفرنسا واشترطت هذه الدول أن من حقها التدخل بالقوة ومن ثم أرسلت هذه الدول أساطيلها إلى خليج نفارين وتوقف الباب العالي ولم يعترف بالمعاهدة وساء التفاهم بين رجال الأسطول المصري والأوربي قد دارت معركة نفارين في ٢٠ أكتوبر ١٨٢٧ وحطم الأسطول المصري في ثلاث ساعات .

ومهما يكن من أمر غضب السلطان ومطالبته بتعويض وإعلانه الجهاد ضد روسيا عدوة تركيا فإن المسألة انتهت بأن أرسلت فرنسا جيشاً في ١٥ ألف لمراقبة إخلاء المورة من جيوش محمد علي ورأى محمد علي أن أصراره على موقفه في شبه الجزيرة إنهاك لقواه وإضعاف لمركز مصر فأمر بالجللاء عن المورة وأصبحت مصر في حالة سلم مع دول أوروبا - وأخترقت روسيا البلقان وسقطت أدرنه أمامها ثم هددت القسطنطينية فوافق السلطان إزاء هذا التهديد على معاهدة لندن بشأن اليونان .

سوريا ١٨٣١

إذ ذاك قام الخلاف بين محمد علي والسلطان وكان مصدره حقد السلطان على جرأة محمد علي وقوته الحربية ثم على موقفه في شبه جزيرة المورة وانسحابه وعدم مساعدته لتركيا في حربها مع روسيا . وعندئذ بدأ محمد علي يفكر في الاستقلال أو الانفصال عن تركيا وبدأ محمد علي في مهاجمة عكا - لأنه كان

يرى سوريا متاخمة لمصر وليأمن غائلة العدو المهاجم من الشرق ولغناها بالمواد اللازمة للأسطول . وأرسلت الحملة حتى وصلت إلى أقليم أطنة ، وقد رحب بها أهالي هذه الجهات رغبة في التخلص من نير الاتراك ، فاستمرت الحملة حتى وصلت (قونية) وعندئذ طلب السلطان المساعدة من روسيا التي أرسلت مندوبها في ١١ يناير ١٨٣٣ إلى الإسكندرية ليهدد محمد علي باسم القيصر وعندئذ يوقف الجيش المصرى عند (كوتاهية) وأرسلت روسيا جنداً إلى تركيا وحينذاك انضمت فرنسا وانجلترا إلى محمد علي ليرغما روسيا على سحب جنودها من تركيا - وانتهت هذه الازمة بين مصر والباب العالى والدول بعقد معاهدة كوتاهية التي اعترفت فيها تركيا بمحمد علي حاكماً على مصر وسوريا وأقليم أطنة في أبريل ١٨٢٣ .

كان هذا الموقف هزة كبرى تنبئ بفجر جديد استيقظت فيه الدول الأوروبية روسيا وفرنسا وانجلترا للشرق، ولمصر بالخصوص، ولتركيا بالذات؛ وتأكد لهذه الدول ضعف تركيا عن مقاومة وال من ولائها ، فبدأت تتحد وتترك خصوماتها التي كانت تشغلها إلى التحالف لتقسيم تركة تركيا الضعيفة التي تستجير في أزماتها بأوروبا وروسيا - وكانت روسيا ذلك الوقت طامعة في البسفور والدردينيل والوصول إلى البحار الدافئة .

وهزت هذه الازمة تركيا والسلطان . ثم تالتت الحوادث بثورة سوريا عام ١٨٣٤ لإصلاحات مصر ، وثوقف محمد علي عن دفع الجزية إلى الباب العالى توطئة لاستقلاله بمصر وتخلصه من السلطان ومن ثم أرسل محمد علي إلى الدول يطلب منها استقلاله عن الباب العالى ١٨٣٨ لأنه أخضع نجد ودانت له شبه جزيرة العرب وأقام في مصر الأسطول ودور الصناعة والمدارس فكان جواب الحكومة الإنجليزية أنه من المستحيلات تنفيذ مشروع محمد علي - وأجابت فرنسا بأنها ستضع كل العقوبات ضد تنفيذ هذا المشروع - وانتهى ذلك إلى قيام الحرب بين مصر وتركيا ٦٠ ألف مصرى أزال ٨٠ ألف تركى في موقعة نصيبين ٢٤ يونيه ١٨٣٩ دحر فيها الجيش العثمانى وانحاز الأسطول التركى إلى محمد علي وبذلك فقدت تركيا أسطولها وهنا بدأت فرنسا وانجلترا تحاولان

ليقاف الحرب خوفاً على زيادة سلطان روسيا وتدخلها - وأرسلت الدول المشتركة مذكرتها المشهورة في ٢٧ يوليو ١٨٢٣ تتضمن رأى الدول الخمس في المسألة الشرقية ، وتعلن بأنها لا تقبل أى صلح يتم أو اتفاق يبرم مع محمد على ما لم توافق عليه الدول وعندئذ عقدت الدول معاهدة ١٥ يوليو ١٨٤٠ (إنجلترا وروسيا والنمسا وبروسيا وتركيا) بإعطاء مصر لمحمد على وراثته وولاية عكا طول حياته وتهده بالحرب في حالة رفضه . ولما لم يقبل محمد على هذه المعاهدة فقد وقعت الحرب بينه وبين الحلفاء في ١٥ سبتمبر ١٨٤٠ وانتهت بهزيمته وانسحبت القوات المصرية من سوريا وانتهى الأمر بجعل مصر وراثية في محمد على وأبنائه ١٨٤١ وهكذا كاد الغرب للشرق في شخص مصر وشخص محمد على فقد خشى الغرب أن تمكن هذه القوة للعزة الإسلامية والعربية في الشرق بفضل قوة جيوش مصر وأسطولها فتصدت الدول لهذا الخطر الداهم وأجمعت على تحطيم مصر وتمزيق هذه المملكة العربية المكونة من سوريا وشبه جزيرة العرب وحوض وادى النيل وكانت هذه هي الصدمة الثانية للشرق في فجر نهضته بعد غزو نابليون ، ولكن محمد على كان قد هباً الأذهان في الشرق بحروبه وفتوحه لنهضة قوية فقد برهن على أن الجندي العربي المسلم قوى متحفز وكفاه نفراً أنه أعد الكتائب المدربة للحرب وأنشأ الأسطول وحرك الأقطار التي أضعفتها الخمول .

نهضت مصر بفضل همة محمد على وتقدمت على الشرق كله . بل تقدمت على تركيا نفسها وأصبحت مثال القوة والحياة وتركيا لاتزال غافلة عن مصيرها .

قناة السويس :

كانت قناة السويس النسيبة الكبرى التي هيأت للغرب تدخله الاستعماري في شئرننا فقد رفضها محمد على وتمت في عهد اسماعيل ، وأرهقت القطر بما كلفته من ديون لها ولما تبعها من إعداد لفتحها ولاستقبال الوفود وغرقت مصر في أيام اسماعيل في الديون . وجلبت قناة السويس على مصر امتيازات عدة للدول الغربية . وكانت شروط حفرها تحوى كثيراً من التعسف

والإرهاق . فضلاً عن أنها كانت سبب هزيمة أحمد عرابي ودخول الإنجليز مصر .
كان إسماعيل يرى إلى سياسة توحيد وادى النيل والوصول إلى مصبه ،
وكان يرى من استقبال وفود الدول إعلان الإمبراطورية المصرية من منبع
النيل إلى مصبه . ولكن الغرب وقف في سبيل هذه الحقيقة مكابراً باسم
الإمبراطورة أوجيني .

حقاً إن مصر قد نهضت في عهد إسماعيل وفتحت أبوابها على مصراعها
لحضارة الغرب ولوفوده ولخيريه وشره وكان هذا العهد بدءاً لما تلاه من إسراف
في قبول حضارة الغرب وما كان له من أثر في إضعاف الروح الإسلامية .
وإلى ذلك الوقت لم تكن هناك بوادر (إسلامية) على صفحة الشرق
إلا ما فهم الناس على طول عصر الغفلة من أن الإسلام هو الصلاة والصيام
وبناء المساجد وإطالة اللحي وحمل المسابح — وقد كانت الروح الغربية تتقدم
في الغزو بإنشاء المدارس للجانبات المختلفة ودخول الأجانب الذين استقدمهم
إسماعيل في البلاد وشغل بعض الوظائف وقد كانت بعوث الشباب إلى أوروبا
لها أثرها فقد حمل معه من الغرب كل ما رأى غير مفرق بين ما يسعد الوطن
وما يشقيه وقد أصبح الأمر عدوى وشعوراً بالنقص وغروراً فكانت موجة
من الاستغراب في الكلام والمشية والملبس وتقليد كل غربي إلى أن بعث الله
للشرق رجلاً مجدداً داعياً للإسلام الخفيف هو جمال الدين الأفغاني ١٨٧١
أمد الشرق بروح جديدة ترمي إلى غرضين :

١ - رفع الرأس عالياً . والشعور بالعزة ومغالبة الاستعمار ومكافحة
الاستبداد .

٢ - العودة إلى تعاليم الإسلام وجمع شمل العالم الإسلامي تحت لواء واحد
قوى يأخذ من حضارة الغرب خيرها ويطارد شرها - وبالجملة فأظهر
ما في هذا العهد قناة السويس (١) وخسارة مصر من جراء ديون إسماعيل بعد

(١) بدء حفر القناة سنة ١٨٥٩ وسخر فيها المصريون قدمت الحكومة بلائجر لخدمة العمال اللازمين
للحفر وكان عددهم ٢٥ ألف عامل يبدلون بغيرهم كل ٣ أشهر وبلغت تكاليف القناة ١٧ مليون جنيه

أن أصبحت مصر مطمح أنظار الدول وخاصة انجلترا التي كانت قد عملت على الاحتكاك بمصر أكثر من ذي قبل وأثرت قناة السويس في مركز مصر التجاري فانقطع عنها ما كانت تربحه من أجور المرور بين البحر الأبيض والأحمر فضلاً عن هلك في القناة من زهرات الشباب المصري

الديون

عقد سعيد أول قرض في ١٨٦٢ وقدره ٣٢٩٢٢٨٠٠ جنيه
 ثم عقد إسماعيل قرضاً جديداً في ١٨٦٤ ٥٧٠٤٢٠٠
 ثم أقرض مرة أخرى من جراء خسائر قناة السويس ٠٣٣٦٠٠٠
 ثم في ١٨٦٨ ١١٨٩٠٠٠٠٠
 ولسبب إسرافه وتدخل الدول أقرض في سنة ١٨٧٣ ٣٢٠٠٠٠٠٠٠
 واقرض الخديو من الداخل بإصدار قانون المقابلة سنة ١٨٧١: ١٠٨٠٠٠٠٠٠
 وباع أسهم قناة السويس سنة ١٧٨٥ ٣٠٩٦٧٠٥٨٣

ومن ثم تدخلت الدول وتنازعت على الإدارة المصرية بحجة سوء الحالة في البلاد وشيوع الجهل والاختلاس والأمراض وأنشئ صندوق الدين بعد أن بلغت الديون سنة ١٨٧٦ ٩١٠٠٠٠٠٠٠ بفائدة ٧ في المائة تسدد في ٦٥ عاماً وأرسلت أوروبا لجنة دولية ١٧٨٧ للتحقيق مع الخديو فنزل عن جزء من أملاكه يبلغ دخله ٤٢٣٠٠٠٠ جنيه في العام - وعين وزراء أجانب في المالية والأشغال وزادت الحالة سوءاً بتدخل بسمارك ١٨٧٩ وانتهى ذلك بنصح الدول لإسماعيل (١) بالنزول عن عرشه لتوفيق ثم عزل الباب العالي إسماعيل في ٣٠ يونيه ١٨٧٩ فسافر إلى إيطاليا وترك البلاد مرتبكاً أشد الارتباك من جراء ديونه.

(١) بلغت قوة الجيش في عهد إسماعيل ٨٩٠٨٨ ضابطاً وجندياً وبلغ الأسطول الحربي ١٨ سفينة تجارية.

عراقى :

انتهى عهد اسماعيل وبدأ عهد توفيق . والحالة غاية فى الشدة والدول الأوروبية الدائرة لمصر يشتد سلطانها ويعج البلد بمندوبيها . وانتهى ذلك بتصفية الدين فى ١٢ ابريل ١٨٨٠ على أساس ٩٨٠٧٤٨٠٩٣٠ جنيهه وتضم مصلحة الجمارك وضريبة الدخان وضرائب الغربية والمنوفية والبحيرة وأسيوط . وذلك بعد خمس سنوات من أشد السنين . وكانت مصر قد تقدمت نوعا ما وبدأت الحركة الفكرية فيها تأخذ لونا جديدا خاصة بعد وصول جمال الدين الافغانى وتكوين مدرسة السياسة الإسلامية الجديدة التى كانت أول عوامل اليقظة بعد غفوة الخلافة التركية . كان جمال أول حاد دعا إلى الاسلام بعد أن أغرق الغرب الشرق بحضارته وبما فيها من ديون واستبداد وإدارة للأسواق التجارية ودولاب الاقتصاد فقد رمى الغرب الشرق بيلال الحضارة من خمر وقتن فى المجتمع وزندقة وإلحاد فى الفكر .

استجاب الشباب لدعوة جمال الدين ، وبدأت القلوب تتفتح لهذه الروح التى طال غيابها عن الشرق ، موطن الروحية ومشرق الأديان ، ومنزل الرسل والأنبياء .

هذا الشرق الذى كان له فى التاريخ عزة ، وقوة وفتح ، بفضل ما عرف من عدالة الإسلام وشريعته النابضة بالحياة والقوة . ذلك أن جمال الدين كان يطوف الشرق الإسلامى داعياً فى حماسة فياضة وبيان رائع ، حاملا على الاستبداد حملة شعواء ، وهو يغزو فى طريقة القلوب بسحر بيانه ، وقوة إشعاعه ، متحدثاً عن سر القوة والتحرر ؛ وسر العزة والكرامة الإيمان والصبر . القوة على مدافعة الظلم وانتزاع أسباب الجبن والخوف من الغاصب ، والوقوف موقف الثبات بالحق والدفاع عنه .

وكذلك بدا نور الإسلام يشرق فى قوة على يد هذا الفاتح المسلم الذى كان يسمو فى دعوته حتى يطالب بالجامعة الإسلامية فى أقطار الإسلام التى مَرَقها الغرب أو كاد ، والتى غفلت دولة الخلافة عنها حتى أصبحت كما ترى .

وكان الشرق الإسلامى ، وكانت مصر فى أشد الحاجة إلى دروس العزة ،
- فالعزة هى المفتاح السحرى للقوة والكرامة - واليقظة والتحرر - التى جاء
بها جمال الدين من أقصى المشرق ليقولها داوية ، لا يخاف أحداً ، ولا يهاب مخلوقاً ،
ولا يخشى إلا الله .

وكذلك وعد الله أن يرسل لهذه الأمة من يحدد لها أمر دينها ، ويرفع عن
بصيرتها حجب الجهالة والغفلة ، وقد كان للشرق بعد دعوة جمال وأتباعه أمثال
السكاكبي ومحمد عبده - فجر جديد ، أوله ثورة عراقى : ذلك الرجل الذى كان
يجمع إلى الإسلام والإيمان عزة الوطنى الذى يدافع عن الدين والوطن معاً .
وكذلك كانت فى نفس الوقت حركة المهدي فى السودان ، وثورته تستقى
من نبع جمال الدين ، وتتشابك مع ثورة عراقى وجهاد محمد عبده .

وكانت الصحراء الغربية تعج بنفس الدعوة بلون آخر على أيدي السنوسيين
فى جهادهم الدينى الذى بدأ سنة ١٢٤٢ هـ ١٨٣٣ م .

هذه علائم اليقظة الإسلامية فى جفرها الجديد . وكانت تلبس ثوباً دينياً
وسياسياً وعسكرياً بعد أن كانت قاصرة على لون قوى ضئيل الحيوية . فما
توجد قوة تمد الجهاد وتغذيه أبلغ أثراً ولا أشد من قوة العقيدة التى تذلل كل
صعب والتى تقذف فى القلوب إيماناً كاملاً ، وجرأة صادقة ، وشجاعة متحمسة
تضعف أمامها عقبات الخوف وأشباح الموت .

إذن فقد استيقظ الشعب فكانت ثورة عراقى التى هى - مهما يقال فى أمرها -
بده نهضة وإن كانت أصيبت بالعطب فى أول خطواتها ، فإنما كان ذلك بالخداع
والدس والرشا من العدو ، ولم يكن ضعفاً من عراقى . وقد كانت إنجلترا اتربص لاستعمار
مصر ووضع يدها عليها ، وتنتهز الفرص لذلك منذ افتحت قناة السويس ،
فلما جاءت الفرصة عاجلتها بكل الوسائل والأسلحة ، وكان أغلبها وبالأسف
دينياً خسيساً . وإلا فإن مثل هذه الثورة كان عادياً جداً فى تاريخ النهضات ،
وفى عهود اليقظة ، وهو أقل ما يجب أن يقف به وطن أمام حرية مسنوبة ،
وعزة ضائعة ، ولن ينسى التاريخ أن عراقى كان رجلاً وأنه كان قد أدى واجبه .

ثورة عرابي ١٨٨٢

- ١ — ثورة طبيعية قومية ، كانت ضد التدخل الاجنبي ، هدفها تثبيت الحكم الدستوري وضمان مبادئ الحرية والمساواة .
- ٢ — كان بدؤها اضطهاد عثمان رفقي ناظر الجهادية للضباط المصريين ، فأناخوا عنهم عبد العال حلي وعلى فهمي وأحمد عرابي .
- ٣ — بدأت الحركة بمظاهرة عابدين الاولى ، فعزل عثمان رفقي وعين محمود سامي البارودي .
- ٤ — مظاهرة عابدين الثانية — طلب عرابي زيادة عدد الجيش إلى ١٨ ألفاً ، وتشكيل مجلس نيابي وإقالة الوزارة .

وهذه المظاهرة الثانية ٩ سبتمبر ١٨٨١ ، كانت من أروع المظاهرات فقد تحرك عرابي بعد أن أبلغ القناصل والحكومة في ٢٥٠٠ جندي و ١٥٥ مدفعاً إلى ميدان عابدين ، ومن ورائه الشعب ، وتقدم عرابي متمطياً جواده ، شاهراً سيفه ، فقال له الخديوي : « ترجل واغمد سيفك » ففعل ، وتقدم ووراه أربعون ضابطاً وقد قال لهم الخديوي : « أغمدوا سيوفكم وعودوا إلى أماكنكم » فلم يفعلوا ، وظلوا وقوفاً ؛ فقال الخديوي : « ما أسباب حضورك والجيش إلى هنا » ، قال عرابي : جئت أعرض عليكم طلبات الجيش والامة ، وكلها طلبات عادلة ؛ وبعد أن سرد طلباته قال له الخديوي : « أنا ورثت ملك هذه البلاد عن آبائي وأجدادي ، وما أنتم إلا عبيد إحساننا » . قال عرابي : لقد خلقنا الله أحراراً ، ولم يخلقنا ميراثاً وعقاراً . ثم انصرف الخديوي إلى داخل قصره ؛ وأخذ كل من يحادث عرابي ويتحداه ، فيقول له : ماذا تفعل إذا لم تجب إلى ما تطلب . قال عرابي : هذه كلمة لا أقولها إلا عند اليأس والقنوط . ثم أجيب إلى إسقاط الوزارة ، فشكر عرابي الخديوي وانصرف . وكان موقفه هذا مشرفاً لأن الامة كانت وراه ، وكان يتكلم باسمها ، فسقطت وزارة رياض باشا وعين شريف باشا .

- ٥ — أرسلت إنجلترا المذكرة المشتركة في ٨ يناير ١٨٨٢ ، وكانت أول التدخل الفعلي المكشوف .
- ٦ — عين عرابي وزيراً للحربية ١٨٨٢ ، ورأس الوزارة محمود سامي البارودي ، واختلفت الوزارة والخديوى ، وأرسلت فرنسا وإنجلترا أسطولا مشتركا إلى الإسكندرية بقيادة (سيمور) لتهديد العرايين .
- ٧ — عند ظهور الاسطول في المياه المصرية تشجع رعايا الأجانب وتحرشوا بالمصريين ، وقامت معركة الإسكندرية ١١ يونيه ١٨٨٢ - وطلب الإنجليز إيقاف تحصين قلاع الإسكندرية وضرب الاسطول قلاع الإسكندرية ١٥ طلقة ساد بعدها الفزع في الإسكندرية كلها ونزلت الجنود في ١٥ يوليو ، فكانت أول خطوة للاحتلال وادعى الإنجليز أنهم يوطدون نفوذ الخديوى .
- ٨ — وزع الإنجليز نشراتهم التي يقولون فيها إنهم لم يأتوا هذه البلاد بقصد الغزو والفتح ، إنما حضروا الردع العصاة وإيقاف تيار الفتن وتأيد سلطة الخديوى .
- ٩ — علم العرايون أن الإنجليز سيدخلون عن طريق الإسكندرية فأهملوا تحصين طريق الإسماعيلية .
- ١٠ — أسرع عرابي لملاقاة الإنجليز قرب كفر الدوار ثم علم أنهم عولوا على فتح مصر من الشرق فعسكر عند التل الكبير . وفكر عرابي في ردم القناة ولكن دلستس أوهمه أن الإنجليز لا يخرقون الاتفاقات الدولية وأنه سيكسب عطف الدول ومساعدتها .
- ١١ — أذاع الخديو قراراً بعصيان عرابي الذي كان يعمل للدفاع عن حقوق البلاد فأثر ذلك فيه وفي رجاله وأشاع بينهم سخاية من اليأس والتشاؤم .
- ١٢ — استيقظ عرابي ١٣ سبتمبر ١٨٨٢ فرأى الإنجليز يطبقون عليه وخذله الضباط المصريون المنتسبون إلى الخديو وعملت الرشوة عملها .
- ١٣ — أنصار الخديو يرشدون الإنجليز إلى أقرب طريق للوصول إلى القاهرة .
- ١٤ — قتل من المصريين ٢٠٠٠ وأسر ٥٠٠ .

١٥ — دخل الإنجليز القاهرة واستولوا على القلعة وقبضوا على العرايين وحكموا عليهم بالقتل ، واكتفى الخديو بنفيهم إلى جزيرة سيلان في ٢٧ ديسمبر ١٨٨٢ .

١٦ — أصر الإنجليز على البقاء لتوطيد مركز الخديوى ، ثم أذاعوا أنهم لا يستطيعون الخروج من مصر لأنهم يخافون من دخول قوات المهدي الثائرة في السودان إلى مصر .

١٧ — قضى عرابي ١٩ عاماً في منفاه ثم أفرج عنه ١٩٠١ ، رحمه الله وجزاه أجر المجاهدين الأبرار ، فقد كان رجلاً بدوياً متديناً تخرج في الأزهر وكان ذا صبغة صوفية وله اطمئنان إلى الطرق الصوفية ، وكان من بين أسباب فشله بيع الضمائر بثمن بخس - وكشف الخطط لعسكر العدو من بعض جنوده وعدم اشتراك الشعب اشتراكاً فعلياً .

وبذلك وضعت إنجلترا يدها على مصر وأصبح لها مستشارون في كل الوزارات والمصالح لا يقضى أمر بدون رأيهم .
أما الحركة الوطنية المصرية التي بدأت منذ وطأت أقدام الإنجليز مصر وثورة سنة ١٩١٩ فسنفرد لها رسالة خاصة .

قضية جنوب وادى النيل

(مصدران)

فتح السودان محمد على الكبير سنة ١٨٢٠ بحملة أعدها بعد فتح جزيرة العرب رغبة في تأمين منابع النيل والعناية بروافده وخلق وطن كامل يبدأ من منبع النيل وينتهى بمصبه وقد وصل إبراهيم وإسماعيل إلى دنكا على مصب نهر سوبات . وأسس محمد على مدينة الخرطوم سنة ١٨٢٢ وجعل من البحر الأحمر بحيرة مصرية وبني بالخرطوم دار الصناعة وأنشأ السفن النيلية الكبرى وأصبحت الخرطوم محطة لتجارة السودان وعين عليها الولاية . وسافر بنفسه إلى السودان سنة ١٨٣٨ ووصل إلى حدود الحبشة وألقى تجارة الرقيق وكانت هذه الحملات والاستكشافات المصرية التي وصل إليها مبعوثو محمد على إلى نهر سوبات درجة ٤ شمالاً أول معاول الكشف في قارة أفريقيا أو القارة السوداء . ثم تقدمت في جنوب وادى النيل ففتحت دارفور سنة ١٨٧٣ وتم الاستيلاء على أفريقيا الاستوائية و منابع النيل - وحاول إسماعيل الوصول إلى ساحل المحيط الهندي لولا أن رده انجلترا ثم ضم هرر وبربرة سنة ١٨٧٥ .

أرسلت مصر السير صمويل بيكر ١٨٦٤ على رأس حملة لإخضاع الأراضي الواقعة في جنوب غندكرو وتمكن السير صمويل من تأسيس محطات تجارية لمنع الرقيق . وامتد النفوذ المصرى إلى جنوبى غندكرو - ثم عين غردون سنة ١٨٧٤ حاكماً على الاقاليم الاستوائية جنوب فاشودة فوصل إلى جنوبى خط الاستواء . ووصلت الجنود المصرية إلى أوغندة وزنجبار . وكانت لاتزال انجلترا في جنوب خط الاستواء واقفه بالمرصاد أمام تقدم الزحف المصرى وخاصة عندما أعدت العدة للزحف إلى ساحل المحيط الهندى . ثم فتحت مصر دارفور بقيادة الزبير باشا وأصبح السودان المصرى يمتد من خط عرض ٢٣ شمالاً إلى درجة ٢ شمالى خط الاستواء جنوباً ويمتد غرباً إلى دارفور وشرقاً

إلى هرر وسواحل البحر الأحمر ويشمل : خط الاستواء - بحر الغزال - النيل
الابيض - كردفان - دارفور - السودان الشرق .

المهدى ١٨٨١

كان المهدي^(١) داعية إسلامياً على نظام الطرق الصوفية ولذلك سمي أتباعه
بالدراويش . وقد جمع إليه طائفة كبيرة من الاتباع الذين استمعوا إليه وآمنوا
بفكرته وقد اعتكف في جزيرة أبا ثم استطار اسمه وكاتب العلماء والأعيان
بل والملوك يدعوهم إلى الانضمام إليه وقد بدأ الصدام بينه وبين الحكومة
فانتصر على قوى الحكومة فزاد ذلك من نفوذه ثم دعا إلى تحرير السودان
من سلطان مصر وإقامة خلافة إسلامية على قواعد الشرع الصحيحة . وقد
زحف بقواه التي هيأها بوضع خاص جديد هو العزوف عن المطامع والمغانم
والشهوات والإيمان بأن هذه الحرب جهاد في سبيل الله وفي سبيل نصره العقيدة
فاستجاب لهذه الدعوة جمع كثير من شباب أقطار الإسلام كلها كالعهد و إيران والجزيرة
العربية . وسقطت في يده كردفان سنة ١٨٨٣ وتوالت انتصاراته . وأعدت
الحكومة العدة لمقاومته بإرسال عبد القادر حلي سنة ١٨٨٢ ولكن المهدي
اكتسح دارفور وأباد القوى التي أرسلت بقيادة هكس باشا .

وحاصرت قوى مهدية أخرى كسلا وسواكن وطوكر فتم الاستيلاء عليها
بقيادة أحد أتباعه (عثمان دقنه) وكان ذلك مزجاً أيما إزعاج للحكومة المصرية
والإنجليزية التي كانت مشغولة وقتئذ بكثيرة عرابي فانهى ذلك بإخلاء السودان
وتسريح الجيش المصري خوفاً من تهديد السودان لحدود مصر - وطبيعي أن
هذه الفكرة من صنع الإنجليز الذين كانوا ينظرون إلى ما بعد قمع ثورة المهديين
من ضم السودان لهم باسم السودان المصري الإنجليزي .

وقد تمسك شريف باشا بالسودان سنة ١٨٨٤ فأجيب من الإنجليز بأن

(١) مهما يحاول مؤرخو التاريخ القومى أن يقللوا من شأن المهدي ويتهموا بالغرض فأنه
نعتقد أن حركته كانت استجابة لزحف الفكرة الإسلامية .

ونصائح بريطانيا لا بد أن تنفذ وأن المسؤولية على عاتق إنجلترا. ومصر في ذلك الوقت محتملة احتلالا فعليا فما عليها إلا أن تسلم.

وعين غردون في ٨ يناير سنة ١٨٨٤ لإخلاء السودان وسحب الحاميات القائمة في الخرطوم وسنار ودنقلة وغندكرو.

وسقطت بربر في يد المهديين. وزحفت جحافل المهديين بالرغم من النجدة المرتقبة بعد حصارها وتهديد الجوع لساكنيها ثم قتل غردون وحملت رأسه إلى المهدي فغضب لذلك أشد الغضب إذ كان يرغب في استبقاء غردون رهينة يخلص بها أحمد عرابي، ومن ثم مزق السودان إذ أعطيت الحبشة إقليم يوغوس وهرر، وضمت إنجلترا بربره وأعطيت زيلع لتركيا ثم احتلها الإنجليز سنة ١٨٨٤ وسمحت إنجلترا لاطاليا باحتلال مصوع سنة ١٨٨٥.

وكذلك ضاعت مديرية خط الاستواء إذ أخذت إنجلترا (أوغندة)، وأعطيت (لادو) للبليجيك، ثم فكر الإنجليز في استعادة السودان بعد أن هدأت عاصفة المهديين و وفاة المهدي ١٤ يولية سنة ١٨٨٥ وعرف عن خليفته التعايشي ضعفه عن المقاومة، فافتحمت الجيوش المصرية في سنة ١٨٨٥ السودان والتحمت مع الدراويش فانتصر الجيش المصري في عدة مواقع ثم سيرت حملة بقيادة كتشنر سنة ١٨٩٦ مكونة من الجيش المصري وبعض الفرق الانجليزية فتم لهذه الحملة فتح السودان مرة أخرى، وهدت السواعد المصرية خطوط السكة الحديد التي لا تزال تحمل الجنود والحكام الإنجليز الذين أصبح لهم السلطان الفعلي في السودان والسيطرة العامة عليه. وانتهت المواقع بدخول الجيش الخرطوم في ٤ سبتمبر سنة ١٨٩٨ بعد انقضاء ١٣ سنة على قتل غردون.

ومن هنا تعرف -أخي الكريم- أن قوات مصر وجيشها ورجالها الأبطال هم الذين فتحوا السودان، وها أنت اليوم غريب عنه لا تدخله إلا بتصریح محدود بأيام. وإن كنا لانحب أن نذكر فيما بيننا وبين إخواننا السودانيين إلا أننا رضيعو نيل واحد ووطن واحد ودين واحد وشمس واحدة، وأنا جميعا عرب لم تفصلنا الحدود ولن تفصلنا مهما حاول الاحتلال ومهما أراد

الاستعمار فنحن إخوة جنس ولغة ودين ونيل اجتماعنا على شواطئه واستقينا منه ، هم على منابعه ونحن على مصبه حراس أمناء شركاء .

أما الانجليز فقد بهرهم الظفر الذى قامت به القوى المصرية وحدها فنبسوه إلى أنفسهم وانتقمتم انجلترا من المهدي في قبره لأنه أراد لدينه عزه ولو ادى النيل حرية ولاحكام الله إعلانا فسلطوا المدافع على قبره فدكوه ثم نبشوا قبره وقطعوا رأسه .

أنتقمون من المهدي ميتاً ولو أطل الله عمره لملاً الشرق نوراً ولكن مهلاً فإن للمهدي خلفاء ولدين الله أمناء وأنصار لا ينقطع جهادهم ، إذا مات منهم سيد قام سيد .

دعوة المهدي سنة ١٨٨١ - م ١٢٩٨ هـ

أقام المهدي في جزيرة أبا ومن حوله أنصاره والمؤمنون بدعوته . دعوة سمحة تستمد نورها من الرسالة المحمدية الغراء ، على أصدق سفنها وأصفي طرائقها - والعالم الذى عمه الظلم والجهل والغفلة - وقتئذك - في أشد الحاجة إليها .

غفل المسلمون عن دينهم وقرآنهم وغلبيهم الجهل . وملاً نفوسهم الذلل للغاصب والذخيل والمستبد ، وطال هذا العهد وآن لهذا الحجاب أن ينقشع وآن للناس أن يؤوبوا إلى دين الله يتذكرونه علماً وينفذونه عملاً وقيمونه شريعة بعد أن دعا إلى ربه محمد أحمد المهدي وجمع من حوله الأعوان والكتائب واشتد ساعد الدعوة المهدية فجاب المهدي أقطار السودان يث فيها طريقته ويلاقي أحبابه وتلاميذه ويستطلع أحوال البلاد .

كان زمام الحكم في السودان بأيدي الأتراك ، وكان الأتراك في تلك الأيام قد وصلوا إلى درجة من الضعف أنتجت أسباب التمرد والثورة في الشمال والجنوب على السواء . فكان دعوة المهدي ترمى إلى غايتين : الإسلام والتمسك

بالدين والانضواء تحت لواء قيادة مخلصه يؤمن متبعها بصدق دعواها، والوطن والعمل على تحريره من سلطان المستبدين والظالمين ، وقد بدأت تخطو خطواتها الاولى فتزحف فى ركبها الفكرة الإسلامية مرة أخرى إلى الشرق لتحتل قواعدها الأولى .

عاب المؤرخون على المهدي ثورته ودعوته . هل كان من الخير أن يظل المهدي وأنصاره فى أنون الظلم والطغيان . هذا الظلم الذى عم كل شىء - نظام الحكم ونظام المجتمع وعم البيوت وشمل نظام القضاء والمعاملة بين الناس ؟ هل كان من الخير أن يذل المهدي وهو ابن الاسلام ورسوله يقول : (من أعطى الذلة عن نفسه طائعا غير مكره فليس منا) فشت الرشوة وبهظت الضرائب واشتد التنكيل فى تحصيلها ومصر غافلة بأحداثها ، وفى مقدمتها ثورة عراقى، عما فى السودان من أحداث .

ونسى الدين فلا صلاح لهذا كله إلا أن يقوم داعية يدعو الناس إلى الإسلام وإلى كتاب الله ليدفع عن هذه الامة ما أصابها وليحكم بين الناس بما أنزل الله .

كان أتباع المهدي دراويش وكان جماع دعوته طريقة صوفية . ولكن لب الدعوة كان قويا . كله حيوية وقوة وإيمان صادق وفهم صحيح . وتضحية وفداء . وزهد وعزوف عن مغام الدنيا ومطامعها وإيثار وأخاء - وكرهية للشهوات واللذائذ المتفشية .

وهنا قالها محمد احمد المهدي داوية صريحة (فلا تخشوا الناس واخشون ولا تشتروا بآياتي ثمنا قليلا ومن لم يحكم بما أنزل الله فأولئك هم الكافرون . أحكم الجاهلية ييغون ومن أحسن من الله حكما لقوم يوقنون) كذلك شعر المهدي بعد أن تبين حال الناس فى جولاته إلى أقطار السودان شمالا وجنوبا وآمن بأنه مسئول ليرد هذا العدران ويقضى على هذا الشر بما جمع الله حوله من القلوب المؤمنة بالله المعتتقة لقيادته التى رضيت بأن تكون جيش

الخلاص . لتحرير الوطن من الذل السياسى والذل الاجتماعى .

وفى غرة شعبان ١٢٩٨ - ٢٩ يونيو ١٨٨١ أعلن الرجل كنفاحه بعد أن جمع إليه أتباعه من مشايخ الطرق والفقهاء ورؤساء العشائر والقبائل وأخبرهم أنه سيعمل معهم ليعيد الحكم بكتاب الله إلى الأرض ولينفذ شريعة الله فبايعه كل من حوله على السمع والطاعة فى العسر واليسر والمنشط والمكره وعلى الرضا بالله رباً وبمحمد صلى الله عليه وسلم نبياً ورسولاً وعلى الجهاد فى سبيل الله وكان السودان فى حالة النزاع يتطلع إلى المنقذ الذى يحطم عنه قيود الظلم والاستبداد فانضم إليه الناس أفواجا .

ولما علمت الحكومة به حاولت رده وإخماد حركته ولكن الرجل وقف وقفة المؤمن الواثق بربه الثابت على عهده الموقن بقوة الله تظاهره وبإيمان جنوده من حوله . فما أن اصطدم بالحكومة فى أول مرة حتى هزم رجالها ثم هزيمة وحطم قواهم وشتت شملهم . فأرهبهم هذا وقت فى عضدهم .

وهاجر المهدي إلى جبل ماسة وقد نظم صفوفه وكتائبه وقلد شئون القضاء لمن اختاره وقلد شئون الانابة لاصلاح الناس لها ووكل إلى القضاة الحكم فى المسائل الشرعية والاهلية ووكل النواب بشئون الغنائم وبيت المال ونظم بيت المال تنظيمًا إسلامياً نسبياً ففرض الزكاة على النقود والماشية والعشور على الزرع والمحاصيل .

وفزعت الحكومة فى السودان إلى حكومة مصر فلم يجدوها تغيير حاكم بحاكم لرد هذه القوة الفتية المؤمنة ودفع المهدي بالارصاد والعيون ينقلون إليه الاخبار من مصر ومن الجهات الرسمية فى السودان . وكان الجيش الذى أرسلته الحكومة المصرية بعض فلول جيش عرابى المحطم فلم تعمل شيئاً أمام هذا القوى المندفع إلى غايته .

لما ألقى زحف المهدي هدد الحكومة المصرية فأرسلت غردون لأن له بالسودان فهما وخبرة فما أن وصل السودان حتى أرسل رسولا خاصاً إلى المهدي ومعه بعض الهدايا وكتاب إلى السيد المهدي ذكر له فيه أن حكومة جلالة الملك قد عينته والياً عاماً على السودان واعترفت باستقلال البلاد

وفصلها عن مصر فصلا نهائيا كما اعترفت لعظمة السيد محمد احمد بالسيادة على السودان الغربى وتلقينه بسلطان السودان الغربى ويأمل غردون مساعدته على إخماد نيران الثورة فى السودان الشرقى ووعد بفتح طريق سواكن أمام الحجاج وأكيد أنه لا يقصد من وراء كل ما ذكره سوى حقن دماء المسلمين .

ولكن هذا لم يكن ليغرى المهدي أو يغير من خطته لأن نفسه لم ترغب إلى سلطان فضلا عن أنه رجل غاية وقائد دعوة وله هدف لا بد من الوصول إليه رغم أنف غردون وتسكر الرجل لوعود غردون لأنه كان يعرف أنها وعود كاذبة وحيل باطلة .

وليس هو بحاجة إلى السيادة التى يعطيها إياه غردون فهو سيد السودان رغم أنفه وليس هو بالذى تخدعه عبارة فتح طريق سواكن لسفر الحجاج فما كان ذلك القول إلا خدعة تلبس ثوبا إسلاميا .

ولقد كان رده عليه رداً قوياً إذ أرسل إليه رجلين فدائين من جيشه وأنصاره مستعدين لبيع أنفسهم لله تعالى ومعهما كتاب منه لا يغمدان سيفهما حتى يدخلان عليه ويسلماه الكتاب . ولا يذوقان طعاماً ولا شرباً وينصحان له ويعظانه بالإقلاع عن خطته ويملان آذانه وعيداً وقلبه رعباً وإذا قتلها فهم من قضى نحبهم من المؤمنين الذين صدقوا ما عاهدوا الله عليه وحسن أولئك رفيقاً . فلما وصلا إلى مدينة الخرطوم وقفاً على قصر الحاكم ومليفاهما مسالوان فلما اعترضتهما الحرس امتنعا عن الدخول فأذن لهما غردون واستقبلهما واقفاً متقلداً سيفه ومسدسه فسلماه الكتاب ثم دعواهما إلى الاسلام وكان كتاب المهدي دعوة إلى الاسلام وسخرية من تصريحه بالسلطنة على السودان الغربى بأنه لا يريد ملكاً ولا جاهاً وأخذ يؤيد كلامه بعبارات من الإنجيل وقال له فى كتابه أنه يحيى ما اندرس من الاسلام وبشره يقول الله تعالى لو أسلم (ولو أن أهل الكتاب آمنوا واتقوا لكفرنا عنهم سيئاتهم ولأدخلناهم جنات النعيم)

واستطرد إلى خير فتح طريق الحج فقال له (إنها خدعة منك وتظاهر

بحماية الاسلام مع أنك لا تؤمن بحرف منه وأنت لمن معشر عرفوا بعدائه
(وكرهيته)

وختم خطابه بالآية السكرية معلقاً على هديته إليه (أتمدوني بما آتاني
الله خير مما آتاكم بل أنتم بهديتكم تفرحون . ارجع إليهم فلنأتينهم بجنود لا قبل
لهم بها ولنخرجنهم منها أذلة وهم صاغرون)

فغضب غردون وجمع العلماء (علماء عهد الظلم والاستبداد الذين أيدوا
نابليون في مصر وأيدوا غردون في السودان) وكانوا دائماً أنصار الغاصب
المستعمر لقاء دربهات ولقيات وسلاطن وجاه في الدنيا، ثم في الآخرة تسعر
بهم النار قبل الكفار والمشركين) فافقى العلماء ببطلان دعوة المهدي وحكموا
بتكذيبه ورفعوا الفتوى إلى رسول المهدي . وحاول غردون بعد ذلك تنظيم
خططه وتعزيز استحكاماته في الخرطوم وحاول أن يغري السودانيين ليكونوا
معه فنادى لأول مرة (السودان للسودانيين) كلمة حق يراد بها باطل لأن
الغاصبين له هم الانجليز وأخذ يحاول إرضاء أهل السودان ليكونوا معه بتخفيف
الضرائب وإذاعة النشرات عن قرب وصول الإمدادات والأطعمة والملابس
والجنود وأطلق سراح المسجونين ولكن المهدي كان في ذلك الوقت هو سيد
السودان الفعلي والمسيطر الأول والاكبر على أغلب نواحيه وكان يزحف
متجهاً إلى الخرطوم .

وحاصر المهدي السودان فأن من الجوع وانقطاع المؤنة واستولى على
أم درمان وقد اشتد الجوع على أهالي الخرطوم فأكلوا الجلود والصمغ .
وغردون فيها شبه محاصر، والامدادات لم تصل وهو يستعجلها ويعد الشعب بها
والبأخرة بجوار قصره منتظرة وقت الفجأة ليهرب بها .

وبات أنصار المهدي ليلتهم كشأنهم دائماً يكبرون ويتهددون ويسبحون
انتظاراً لانبثاق الفجر ليهاجموا الخرطوم) فلما وصلت الجنود إلى الخرطوم
هاجمت ثلثة منهم قصر غردون وحملوا رأسه إلى المهدي فوق رخ . وكان
فتح المهدي للخرطوم قبلة عنيفة انفجرت في العالم الإسلامي كله بلغ دويها
أقصى حدوده فهاجر على أثرها المسلمون من مصر والجزائر والهند

المغرب وأفغانستان إلى أم درمان ، وكان على السلطان عبد الحميد السادر في غفلته في يلدز أن يصدر منشوراً يقول فيه إن المهدي كاذب وقد نحا نحوه الازهر . وتوالت الفتاوى من الجهات الرسمية التي لا تخضع إلا بالقوة تكذيب هذا الرجل المجاهد الذي لا ينبغي بحماده دنيا ولا مطمعا شخصياً ، إنما ينبغي وجه الله خالصاً وتحرر الوطن كاملاً وإقامة أحكام الله في الأرض بعد أن طال بها التعطل ،

وما يضير الإسلام ، بل ما أسعد الإسلام ، أن تكون دعوة المهدي - دعوة للشرق المسلم كله وليس للسودان فحسب - أليست دعوة الحق ، أليست دعوة الجهاد ، أليست صدى الدعوة الأولى وعلى نسقها ومن معيها ترفع عن الناس غفلاتهم وجهالاتهم وما هم فيه من ظلم واستبداد بنقلهم من الذل إلى العزة ومن الجهالة إلى النور ونعيدهم إلى السكرامة الإنسانية والمجد الإسلامي ليقفوا في وجه المعاصب وليعرفوا حقهم ويطلبوا من الله النصر والتأييد (لقد جاءكم من الله نور وكتاب مبين يهدي به الله من اتبع رضوانه سبل السلام ويخرجهم من الظلمات إلى النور بإذنه) .

كذلك آمن المهدي وصدق أتباعه ففتح الله له . وكذلك كان المهدي (ينبغي فتح مصر وغزو الشام وإخضاع الحجاز والاستيلاء على تركيا) ليذيع دعوة الحق في هذا الوطن الغافل ولو قدر له ذلك لما تمكن الغرب المتعصب الصليبي من أن يمزق الشرق الإسلامي بعد الحرب الكبرى الأولى تمزيقاً ويفعل به الافاعيل .

كان المهدي يأمل هذا ولذلك غضب على رجاله عند ما قتلوا غردون فقد كان يريد أن يقتدى به عرابي وكان يأمل كثيراً من الخير في اليقظة التي دبت في مصر على أثر نشاط جمال الدين الأفغاني في جولاته في الشرق وعزائم تلاميذه محمد عبده والكواكبي أن تلتهم الحركة الإسلامية في صورة موحدة ووجهة واحدة فيقود وادي النيل - بعد تحريره - الشرق كله إلى الحرية وإلى الإسلام الصحيح وإلى إقامة أحكام الله كما أقامها المهدي في السودان بعد أن وطئ ملكه . وكذلك وقف العرب للحركة الإسلامية الجديدة كما وقف من قبل للحركة

العربية التي أثارها محمد على وكما وقف لحركة الامبراطورية المصرية إلى منابع النيل التي أرادها إسماعيل وكما يقف دائماً أمام كل نشاط من شأنه أن يعيد للإسلام مجده - ذلك لأن أوروبا تعرف مدى الخطورة على توسعها في الشرق من نشاط الإسلام .

هذا الإسلام الذي أسس امبراطورية شاحخة البناء في أقل من قرن . أى نعم في ٨٠ عاماً فقط كانت مملكة الإسلام تمتد من الهند شرقاً إلى الشام شمالاً إلى الأندلس غرباً إلى المحيط الهندي جنوباً . وهو ملك لم يستطع نابليون من بعد ولا الاسكندر المقدوني من قبل . ولا أوتي أى قائد من قواد الغرب القدرة على أن يقيم مثل هذا الملك ، ذلك لأنه لم يقيم بحد السيف ولا بالزستعمار الغاصب إنما قام على أساس عقيدة قوية ودين ناصع يشمل نظاماً كاملاً للمجتمع كله عدالة وإخاء ومساواة ، عدالة في القضاء وإخاء بين الغنى والفقير ومساواة بين المسلم وغير المسلم من الناس ، إنما قام على أساس البرهان والمنطق والقاعدة والإقناع وقام على تنظيم الزكاة والموارث وإقامة الحدود وعلى أساس الحب والرحمة والإخاء والكرامة والعزة والرجولة ولكل خلق من هذه الاخلاق وضع معروف .

بمجمع هذا شأنه تتعادل فيه القوى فلا يطغى الغنى على الفقير - ولا يظلم الكبير الصغير وتتناسق فيه الأوضاع الاقتصادية والمالية والمعيشية فبأكل الجميع دون أن يكون هناك جائع ويكتسى الجميع دون أن يكون هناك عريان يقف الكل فيه وقمة الرجولة والاستئساد أمام الغاصبين محافظة على الاوطان ودفاعاً عن الدين من شأنه أن يخيف الغرب الذي أقام حضارته الداعرة على رقة الدين وعلى جمود الآلة وعلى إقصاء الروحية عن المجتمع .

لذلك فالغرب يقف بالمرصاد أمام حركات الإسلام يحاول قمعها لأنها التيار الجارف أمام استعمارهم . فدعوة كدعوة المهدي تقوم في سنة ١٢٠٢ هـ سنة ١٨٨٥ م في وقت يستيقظ فيه الغرب لقتلهم الشرق . وفي وقت عرف فيه الغرب من هم المسلمون الاول الذين يعيش أحفادهم في الشرق الآن . وفي وقت قسّم فيه الروح دولة قوية كتركيا ، والغرب مترقب متربص يتمسم تركتها ،

وفي وقت يذكر فيه الغرب ضربات الإسلام القوية المدمرة في نهر اللوار وفي قلب فينا .

كل هذا يدعو الغرب وفي مقدمته إنجلترا أن تحارب المهدي لأنه الداعية الأول الذي جاء ليقول إنه إنما يريد إقامة أحكام القرآن في الأرض ولا ينبغي من وراء ذلك سلطاناً ولا ملكاً عضوداً - ولا بد للإنجليز أن تنزع حين تعلم أن المهدي ورائه عرابي المنفي ومحمد عبده محرر العروة الوثقى وكل مسلم يعرف حق الإسلام عليه .

ولا بد للغرب أن ينزع حين يعلم بأولئك (المجانين) المهاجرين من بلادهم في أقصى الشرق إلى السودان لينضووا تحت هذا اللواء المظفر ولكن مهلاً : فكل الناس مجنون ولكن على قدر الهوى يختلف الجنون .

وبعد أن تمكن المهدي من فرض سلطانه العسكري على السودان بدأ يفرض سلطان الإسلام الاجتماعي والسياسي والاقتصادي والقضائي ، فهذا هو الهدف الاسمي والغاية الكبرى ، أن تملأ الدنيا عدلاً بعد أن ملأت جوراً ، ومن يعيد لها العدالة إلا تشريع الإسلام .

فتح المهدي باب الاجتهاد ، وعاد بالناس إلى تعاليم الإسلام في عهد الرسول والخلفاء الراشدين ، وأراد للناس الدين ميسراً سهلاً ، خالياً من الاوهام والخرافات ، فأبطل المذاهب الأربعة ، واستخرج مذهباً اجتهادياً وحد فيه بين المذاهب ، وسوى ما بينها من خلاف ، وقطع يد السارق ، وجلد على المعصية ، وشرب الخمر ، وجدد في المعاملات ، وسوى في معاملات الرجل والمرأة في الزواج والطلاق ، وأبطل الالتفاب والرتب ، وأمر بلباس واحد . ومنع النساء من التزين بحلي الذهب والفضة والتبرج ، وحد من خالفت ، وأمر بحلق شعر الرأس ، وحرم الاحتفالات التي تدعو إلى الزف ، وجعل مهر البكر ١٠ ريالات وثوبين ، ومهر الثيب ٥ ريالات وثوبين ، وعاقب من خالف ذلك ، فسهل الزواج ، وأزال بذلك البغاء ، وأبطل الغناء والرقص ، ونقر الدفوف ، وجلد من خالف ذلك ، ومنع البكاء والنواح على الميت ،

وعاقب المذبحين وكتاب التماثيم ، وحرّم شرب الدخان ، والتبغ ، والحشيش ،
والخمر ؛ ووجد في ذلك ، ووجد لفحش القول . وقسم الغنائم ، وجمع الزكوات ،
وجاهد في سبيل الله فسوى بينه وبين المجاهدين الأول ، فهنيئاً له وهنيئاً
لمن اتبعه .

وهكذا كانت القوة التي تخلق الأمم ، وتقيم الشريعة ، وتنفذ أحكام الله ،
وتنشئ المجتمع الكامل ، وإن الله ليزع بالسلاطن ما لا يزع بالقرآن .

نريد بهذا أن نذكر المسلمين ، وأن نسجل زحفاً إسلامياً قوياً في سبيل
تحقيق غايته ، وفي سبيل الوصول إلى قواعده . وإن كان هذا الزحف لم يطاول
الزمن فليس هذا ذنب المهدي . وإنما هو ذنب المسلمين الذين أهملوا حماية
هذا الأساس ، وهدموه لأنهم لم يؤيدوه ، بل عارضوه ونقضوه واتهموا
صاحبه بالكذب والخديعة ؛ فاستطاع الغرب المستعمر المتحفز إلى تحضيم
قواعد البناء الجديد في الإسلام أن يفتصر حيث ينهزم الدين ؛ ولكن إلى حين ،
فسوف تقوم في الشرق الإسلامي دولة تحكم بالقرآن ، وإن طال مطال الغرب
والزمان .

السودان الحديث

تبلغ مساحة السودان مليون ميل مربع تمتد إلى الجنوب حتى هضبة البحيرات حيث منابع النيل الإستوائية وشرقاً إلى هضبة الحبشة بجبالها وقممها وحيث منابع النيل الصيفية ويمتد ساحل السودان ٤٠٠ ميل على البحر الأحمر وعليه تقع بورسودان وسواكن. وتقع الغابات الإستوائية في أقصى الجنوب ومنطقة الحشائش حيث تحيا الحيوانات المفترسة، وحاصلات هذا الإقليم من الفيل وريش النعام وجلود الثور والماشية .

وتمتاز المنطقة الوسطى بالزراعة . وبها سد مكوار القائم على النيل الأزرق يروى أرض الجزيرة ، وخزان جبل الأولياء على مجرى النيل الأبيض ومحاصيل هذا الإقليم السمسم والفول وأهم مناطق الزراعة بالسودان الجزيرة ثم كسلا وطوكر ، ويسكن الزنوج في الجنوب والعرب في الشمال وتعيش القبائل الشرقية على الرعى ، وديانتها وثنية ، وهي (الدنكا - النوير - الشلوك) ويدعى بعض المغرضين أن عرب السودان مهاجرون من بلاد المغرب وهذا رأى باطل لأن عرب السودان وعرب مصر من أصل واحد .

منابع النيل يجب أن تكون بأيدي الوطن الذي يقوم هذا النيل على حياته وعلى موارد رزقه ، ولما كانت مصر هبة النيل فقد تعلق به مظاهر الزراعة وعوامل إنباتها فوجب أن يكون وحدة كاملة من منبعه إلى مصبه .

والعوامل الطبيعية التي توجد لها الأنهار تثبت أن الشعوب التي تعيش على جوانب النهر من نوع واحد وجنس واحد . والوحدة قائمة فعلا في الاجتماع واللغة والدين والجغرافيا بيننا وبين إخواننا سكان جنوب الوادي .

ولا بد حتما أن تكون منابع النيل بأيدي هؤلاء الذين يقوم النيل على تنظيم حياتهم لأأيدي الغاصبين . ولا بد من تأمين الطريق إلى منابع النيل تأميناً

كاملاً حتى نشعر أننا نعيش في هذا الوادي حياة ثابتة غير مهددة بما يحول دون وصول هذا الماء إلينا أو يهددنا بقطعه .

أما التفرقة بين المصري والسوداني أو محاولة التفرقة بين جنوب السودان وشماله ، فهذه الأعياب السياسية الاستعمارية التي تعمل على التفرقة والتمزيق دائماً ولسكنها لن تفرق الجسد الواحد ولن تمرق التجانس الشامل فالوحدة قائمة رغم كل محاولة .

نستقي من هذا الدين المتين ومن هذه اللغة الخالدة ولن تحول أبداً أي يد بين شطري الوادي ، والود متصل والعاطفة قائمة ، ومصر السودان متصل بمصر مصر . ومصر باعتبارها العامل الأول للمطالبة بإعادة شطر وادي النيل إليه وضم مصب النيل إلى منبعه مسؤولة عن وقوعها موقف الضعف والهران في المفاوضات السابقة بشأن السودان وقبولها اتفاقية ١٨٨٩ ومعاهدة ١٩٣٦ .

معاهدة السودان (يناير سنة ١٨٩٩) :

أرغمت مصر في ظروف عصيبة على توقيع هذه المعاهدة ولا تزال إلى الآن مرفوضة لأنها فرضت فرضاً في حالة إكراه ، ذلك لأنها قسمت أرض النيل قسمين قسم تحكمه إنجلترا مباشرة وقسم تحكمه مع مصر ومن شروط هذه المعاهدة تعيين حاكم حربي بموافقة مصر ، وبها أصبح لمصر شبه حق في حكم السودان بالرغم من أنها الفاتحة الفعلية له أولاً وثانياً ، ومنذ سنة ١٩٢٤ وحادث مقتل السردار انفردت إنجلترا بحكم السودان دون المصريين ومحبتي الجيوش والموظفين المصريين منه ، وبقي حكم مصر للسودان اسماً ورسمياً لا صحة له في الواقع ، ولقد كانت مصر إلى عهد قريب تسدد عجز ميزانيتها ،

ولما أطلقت يد الانجليز في السودان قسموه قسمين قسم شمالي وقسم جنوبي ثم حرموا على أهل السودان الشمالي السفر إلى الجنوب إلا بجواز أو تصريح وساقوا إليه بعثات هائلة من المبشرين بفتنوا المسلمين عن دينهم وينصرون

الوثنيين وحرّموا على المسلم الصلاة أمام الوثنيين حتى لا يغريهم الإسلام وقد قام الجيل الجديد من أبناء المسلمين في ظل المسيحية وبلغ أعضاء جمعيات التبشير في السودان إلى زمن قريب ٣٨٠ مبشراً تمتد أعمالهم إلى نيجيريا وجنوب السودان والحبشة ، وقد أنشأت هذه الجمعية في السنة الماضية عدة كنائس في كل نواحي السودان وقبائل الجنوب من العرب والزنوج وأغلبها على الفطرة ويعرفون بضعة كلمات عربية ولا يعرفون كثيراً ولا قليلاً في السياسة . وتشرف الجمعيات التبشيرية على إنشاء المستشفيات والكنائس (وحكومة (١) السودان تعتبر هذه المناطق مغلقة وتحرم على أهل الشمال زيارتها إلا بترخيص رغبة في أن تبقى هذه الجماعات البدائية لا تعرف لغة ولا ديناً وليس لها رأى في سياسة ولا تفكير في حرية . ولو ترك لأهل الجنوب والشمال الحرية لزاوجوا وتناسلوا وألف بعضهم بعضاً واندمجوا ، وأصبح السودان كله وحدة واحدة) .

(أظهر أحزاب السودان حزب الأشقاء وحزب الأمة . وحزب الأشقاء مؤيد من جميع الطبقات في السودان وكبار رجال الطرق الدينية ومسيطر على الشعور الوطني تماماً . لأنه يمثل رأى السودانين وهو الذى قرر قيام حكومة سودانية ديمقراطية في اتحاد مع مصر تحت التاج المصرى . أما الحزب الآخر فهو حزب مغرض يقول كما قال غردون منذ خمسين سنة (السودان للسودانيين) وأنا والسودان متفقون على الوجهة وهتافنا (اخرجوا من وادى النيل ثم نسوى مشاكلنا فيما بيننا)

والمصريون والسودانيون هم في الحق أحرى أن يسووا أمورهم فيما بينهم كما يسوى الأهل شئون دارهم فلا ضير أن يحكم أحدهما الآخر ولكن الكارثة أن تحكمهما إنجلترا ، وحزب الأشقاء يقول دائماً : إن مبدأ الاندماج مع مصر وليس معنى هذا الاندماج زوال كيان السودان وخلع الجنسية المصرية عليه ويبيع (أنفسنا لمصر) إنما المبدأ هو وحدة وادى النيل بالنصارى مصر والسودان

في الدولة الجديدة التي ستسمى دولة وادي النيل . وتكون الشخصية الجديدة مشتقة من هذه الدولية التي ليست مصرية بحتة ولا سودانية بحتة كما أنه سيكون للدولة برلمان واحد ينتخب أعضاؤه وفقاً للتقسيم الإداري للدوائر .

أما الفتنة الانجليزية الجديدة في السودان التي يسمونها استشارة السودانين في مصير بلادهم فهي من الأمور التي لا يمكن أن تتم على وجه شريف أو أنه من المتعذر إجراء استفتاء عام في جميع مناطق السودان ، لأن هناك مناطق لا تعرف اللغة العربية ولا تعرف أي لغة - ومن المغالطات الكبرى أن يلجأ في الاستفتاء إلى الهيئات التي لها صفة تمثيلية مثل المجلس الاستشاري ومجالس المديریات والغرف التجارية فإنها إنما تمثل صنائع الاستعمار بمن أعدتهم إنجلترا منذ زمن طويل لهذه المهمة فهو لا يمثل رأيهم حقيقة الشعور السوداني ، إنما أصلح الناس لهذا هو مؤتمر الخريجين لأنه يمثل الطبقة المثقفة في السودان التي عليها يعتمد في حرية الرأي ، وفي القدرة على الفهم والتقدير الصحيح للأمور فإذا ادعى الاستعمار أن مؤتمر الخريجين لا يمثل السودان كله فإنما يقال ذلك لأن في قلب هذا الحزب العدة المفكرة للوقوف أمام الاستعمار بقلب ثابت وإيمان صادق .

وقد انفتحت الأحزاب السودانية أخيراً على المطالبة مع مصر بالجللاء عن وادي النيل بشطريه وكتبوا بذلك وثيقة مهروها بالدماء بدل المداد - على أن تتفق معاً بعد ذلك على نوع الصلة التي تقوم بين الشمال والجنوب ، والامل معقود على أن هذه الصلة ستجعل للسودان ما لمصر من الحقوق الدستورية ، فتجرى الانتخابات في مصر والسودان ويكون من السودانيين نواب وشيوخ في البرلمان بنسبة عددهم ويكون منهم وزراء ورؤساء حكومات ولا مانع من أن يستبدل اسم المملكة المصرية بمملكة وادي النيل وتكون الوظائف الإدارية الكبرى والصغرى للسودانيين على اعتبار أنهم أعرف بشؤون البلاد .

تاريخ الفكرة الإسلامية - ماضيها وحاضرها

◆ الكتاب الأول : قضايا الأقطار الإسلامية - أول

◆ الكتاب الثاني : قضايا الأقطار الإسلامية - ثاني

ويشمل قضايا أفريقيا الشمالية وسوريا وفلسطين والباكستان

أخي الكريم

السلام عليكم ورحمة الله وبركاته :

قدمنا إليك اليوم جزءاً من الحديث عن الفكرة الإسلامية الزاحفة إلى
المجد ، وسنقدم لك في القريب جزءاً آخر .

وسترى أننا نبسط لك أهداف القضية الإسلامية ، والدعوة القرآنية ،
في وضوح . ولذلك فنحن باسم الفكرة ، ورغبة في إذاعتها ، ندعوك أن تعلن
ذلك لإخوانك . هذا ، ونأمل أن يصلنا منكم اشتراكات عن الرسالة المقبلة ،
حتى يمكن أن تصل إليكم في حالة ظهورها ، خالصة أجرة البريد .

ويمكننا قبول اشتراكات عن ١٠ رسائل متوالية ، تظهر تباعاً أول كل
شهر . وكذلك لامانع من إرسال ١٠٠ نسخة لمن يرغب من العدد المقبل مقابل
٥٠ ملياً لكل نسخة .

ونسأل الله أن يوفقنا إلى السير بهذا المشروع إلى نهايته ، حتى يحل في
سوق الكتب لون جديد من الفكر الرفيع ، والتاريخ الإسلامي على وجهه
الصحيح ، بعيداً عن التحريف والغرض ، مجرداً من كل غاية ، إلا العمل
الخالص للحق وحده ، وستظهر رسائل الفكرة الإسلامية في ٢٠ رسالة إن
شاء الله ؛ والله أكبر والله الحمد .

أنور الجمري البنا

شركة الاخوان المسلمين للطباعة والنشر

العنوان : ١٣ شارع أحمد بك عمر - الحلبية الجديدة - القاهرة

956:B21kA:c.1

البنا، انور الجندی

قضايا الإفطار الإسلامية: أول وثائق و

AMERICAN UNIVERSITY OF BEIRUT LIBRARIES



01051711

American University of Beirut



956

B21kA

General Library

956

B21KA:c.1